الإحالة وأثرها في تماسك النص
دراسة نصية في قصيدة
(دموع على الدحيان)
للشاعر صقر الشبيب

إعداد

د/ رسمية إبراهيم الدوسري

أستاذ مساعد في أكاديمية سعد العبد الله
للعلوم الأمنية

سبتمبر ٢٠٢٠م

الإحالة وأثرها في النص دراسة نصية في قصيدة (دموع على الدحيان) للشاعر صقر الشبيب
رسمية إبراهيم الدوسري.
قسم اللغة العربية - أستاذ مساعد - أكاديمية سعد العبد الله للعلوم الأمنية – الكويت
البريد الإلكتروني: Dr.rasm.do@gmail.com
الملخص: يظهر لنا هذا البحث الدور الكبير الذي تؤديه الإحالة بنوعيها النصية والمقامية في ترابط النص وتماسكه، كما توضح لنا بما لا يدع مجالًا للشك أهمية العناصر الإحالية في تضافر جزئيات النص، كما يمنح العنصر الإشاري التدفقات الحيوية اللازمة للحمة النص وقوة نسيجه، وإذا كانت الإحالة النصية تقرب أجزاء النص وتربطها ربطًا شديدًا وتزيد من حالة الالتحام والتماسك بينها، فإن الإحالة المقامية تربط النص كاملًا بمحيطه الخارجي، وتحقق ذلك التواصل المنشود بين النص وبين بيئته الخارجية وفضائه الكبير. كما تضيف للعلاقة الوثيقة بين منتج النص ومستقبله مزيدًا من الوشائج والصلات.

لقد أثبت الشاعر صقر الشبيب من خلال قصيدته "دموع" التي جادت بها قريحته في رثاء صديقه الفقيد الشيخ عبدالله الخلف الدحيان –رحمه الله – فقيه الكويت مدى تمكنه من استخدام الأدوات التي تساعد في ترابط النص، فقد استخدم الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، تلك العناصر الإحالية التي أسهمت بدور عظيم في توفير شبكة من العلاقات بين العناصر الداخلية للنص وكذلك بين النص وبين عالمه الخارجي.

ويمكننا أن نقول بأن الإحالة في تلك القصيدة باعتبارها وسيلة من وسائل الاتساق قد حققت الهدف المنشود منها فربطت أجزاء النص وأوجدت التماسك المطلوب آخذة بعين الاعتبار العلاقات عبر التجسيد الحي الملاحظ من خلال العناصر الإحالية.
الكلمات المفتاحية: الإحالة – النص– دموع – الدحيان – صقر– الشيب – نص– قصيدة.

Referral and its Impact on the Text
Textual study in the poem (Tears on Al-Dahyan)
By the poet Saqr El-Shabeeb

Rasmia Ibrahim El-Dosary, Arabic Department, An associate professor, Saad Al-Abdullah Academy for Security Sciences, Kuwait.

E-mail:- Dr.rasm.do@gmail.com

Abstract: This research shows us the great role that referral, in its two types of textual and denominational, plays in the correlation and cohesion of the text. There is no doubt that it also shows us the importance of the referral elements in the intertwining of the parts of the text. The indicative element also gives the vital flows necessary for the textual integrity and strength of its texture. If the textual referral approximates parts of the text link them tightly and increase the cohesion between them, for the dominator referral links the entire text to its external surroundings. This achieves the desired communication between the text and its external environment and its large space. It also adds to the close relationship between the writer of the text and its reader, further links and connections.

The poet Saqr El-Shabeeb has proven through his poem "Tears" that his scribe found in the lament of his deceased friend Sheikh Abdullah Al-Khalaf Al-Dahyan – may God have mercy on him – the jurist of Kuwait, the extent of his ability to use the tools that help in the correlation of the text. He used pronouns, nouns and relative pronouns. These referral elements played a great role in providing a network of relationships between the internal elements of the text, as well as between the text and its external world.

We can say that referral in this poem as a means of consistency has achieved the desired goal of it, so it linking parts of the text and creating the required cohesion, taking into an account of the relationships through the living embodiment observed through the referral elements.

Key words: Referral – text – tears – Al-Dahyan – Saqr El-Shabeeb– poem.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيدنا محمد، وبعد،،،،

فهذا بحث يتطرق إلى الكشف عن الإبداع في المخزون الأدبي الثقافي في منطقة الخليج، ويقودنا إلى الشعر العربي الفصيح والمعاصر في دولة الكويت الذي تركه لنا أحد شعرائها المبدعين ورائد من رواد الحركة الأدبية المعاصرة فيها، وأعني بذلك الشاعر الأعمى الفذ صقر الشبيب (١٨٩٤-١٩٦٣) حيث لقب بمعري الكويت لقرب شخصيته وأسلوب شعره من الشاعر أبي العلاء المعري، ذلك لأنه شاعر تتميز قصائده بملامح تدل على شخصيته الذاتية والحالة الاجتماعية التي عاشها في تلك الفترة من مثل قصيدة "من أعمى إلى عميان" يصف بها داء العمى الذي أصابه وحرمه من العمل، ومن أهم قصائده الرائعة قصيدة "لهفي على الفصحى" وقصيدة "الظواهر الخداعة" وقصيدة "يضر النصح في هذا الزمان" وغيرها من القصائد الجميلة التي زخر بها ديوان شعره الذي صدر سنة ١٩٦٩م.

ولأن هذا البحث يعنى بالإحالة كونها إحدى وسائل الاتساق النصي التي تساهم بدور عظيم في تضافر النص وتماسكه، وإيصاله للمتلقي بكل قوة، فقد وقع اختياري على قصيدة "دموع" من ديوان الشاعر صقر الشبيب في رثاء الفقيه والعلامة الكويتي الشيخ/ عبد الله الخلف الدحيان – رحمه الله – لما توفر فيها من تميز وإبداع نصي من خلال الإحالات الموجودة في النص، إضافة لذلك ما حملته تلك القصيدة من مشاعر صادقة، وأحاسيس فياضة تجعل قارئها يعيشها لحظة بلحظة متأثرًا بجميع أحداثها.

خطة البحث:

احتوى البحث على مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث:

- التمهيد، وتناولت فيه:
- التعريف بالشاعر وثقافته وعصره.
- **المبحث الأول:** مفهوم النص، وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول:** المعنى اللغوي والاصطلاحي للنص.
- **المطلب الثاني:** مفهوم النَّص عند اللسانيين.
- **المبحث الثاني:** مفهوم الإحالة، وفيه مطلبان:
- **المطلب الأول:** الإحالة في النص والاصطلاح.
- **المطلب الثاني:** الإحالة عند النصيين.
- **المبحث الثالث:** أقسام الإحالة ومداها، وفيه مطلبان:
- **المطلب الأول:** أقسام الإحالة.
- **المطلب الثاني:** المدى في الإحالة.
- **المبحث الرابع:** الدراسة التطبيقية، وفيه مطلبان:
- **المطلب الأول:** عنوان القصيدة وقافيتها ورويها.
- **المطلب الثاني:** إحالات القصيدة.
- **الخاتمة.**

التمهيد: التعريف بالشاعر

أ- نسبه وحياته:

صقر بن سالم بن شبيب الشَّمَّري، شاعر الكويت الأول[١]، عربي أصيل من قبيلة معروفة تدعى قبيلة شَمَّر، وفد إلى الكويت جده الأكبر دهيرب؛ ليتخذها موطنًا[٢]. وقد ولد صقر الشبيب في مدينة الكويت سنة (١٣١٢هـ - ١٨٩٦م) في أرجح الروايات[٣].

أما أبوه فكان فقيرًا، يعيش على اصطياد السمك[٤]. وحين اشتد عوده، أنس به والده، ولكنه أصيب في عينيه في سن التاسعة على إثر مرض لم يفلح معه العلاج في الكويت في ذلك الحين، فأدركه العمى، وأدخله والده الكتَّاب[٥]. وقد كان لوفاة والدته في سن مبكرة الأثر الكبير في نشأته وتكوينه، إذ فقد بموتها حنان الأم التي كان يمكن أن يأوي إليها من عنف والده وقسوته [٦]. وقد عاش شاعرنا طيلة حياته معدماً فقيراً، ما أدى إلى حياة بائسة وشعور مرير بالوحدة.

ب- ثقافته:

استمد صقر الشبيب ثقافته من الكتّاب، فحفظ القرآن، وكان الغلام يحس في نفسه غليان النبوغ يطمح به ويدفعه إلى آفاق أبعد، فسافر إلى الأحساء، وفيها لم يمكث الشاعر أكثر من عامين، درس خلالهما علوم اللغة والنحو [٧]، وفي تلك الفترة حفظ شعرًا كثيرًا من الشعر القديم[٨]. واستطاع أن يستظهر معظم ما قرئ عليه من أشعار، وأن يحفظ لزوميات المعري، فيتأثر بأفكاره وخطاه[٩].

ج- عصره:

عاصر صقر الشبيب الكويت خلال عصرين مختلفين، فقد عاش في فترة الحياة البسيطة التي كان المجتمع الكويتي يعاني من شظف العيش، كما عاصر بداية الطفرة النفطية في بداية الأربعينات من القرن العشرين، وخلال العصر الأول كان الشعر والأدب مغيبًا[١٠]، ولكن سرعان ما تغير ذلك الأمر،

وبدأ الغيورون يثيرون موضوع العلم ونفعه للمجتمع، ويعد صقر الشبيب من شعراء المرحلة الثانية من مراحل تطور الشعر الكويتي التي تبدأ مع بداية الوعي الجديد عام ١٩١٢م، وفي هذه الفترة وصلت المجلات والصحف المصرية والعراقية إلى الكويت(١١).

المبحث الأول

مفهوم النص

المطلب الأول: معنى النص لغة واصطلاحًا

أ- المعنى اللغوي للنص:

يقول الزمخشري(٥٣٨هـ): "الماشطة تنص العروس فتقعدها على المنصة، وهي تنتص عليها، أي ترفعها. وانتصَّ السنام: ارتفع وانتصب. وبلغ الشيء نصه أي: منتهاه. ومن المجاز نص الحديث إلى صاحبه[١٢]"، ثم ذكر قول طرفة بن العبد: (من المتقارب)

ونُصَّ الحديثَ إلى أهلِهِ ... فإنَّ الوثيقَةَ في نَصِّهِ[١٣]

وعند الرجوع إلى عمدة المعاجم_ لسان العرب_ فإن المعنى مقارب لما ذكر، حيث يقول ابن منظور: "النص رفعك الشيء، ونصَّ الحديث ينصه نصًا: رفعه، وكل ما أظهر فقد نُصَّ، والمنصة: ما تظهر عليه العروس لترى، ونصَّ المتاع نصًاً: جعل بعضه على بعض، وأصل النصِّ: أقصى الشيء وغايته، ونص كل شيء: منتهاه"[١٤].

ب- المعنى الاصطلاحي للنص:

إن أول من تطرق إلى مفهوم النص قديمًا، هو الإمام الشافعي(ت٢٠٤هـ) في نظريته عن البيان، حيث ذكر النص بقوله: "ما أتى الكتاب على غاية البيان فيه، فلم يحتج مع التنزيل فيه إلى غيره"[١٥]. ومضمون كلام الشافعي –رحمه الله– دال على أن النص يعني أقصى درجات الوضوح والظهور.

ويبدو المعنى كذلك مقاربًا عند علي الجرجاني(ت٨١٦هـ) حيث يقول في تعريفه للنص: "ما ازداد وضوحًا على الظاهر لمعنى في المتكلم، وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى، فإذا قيل: أحسنوا إلى فلان الذي يفرح بفرحي ويغتم بغمي، كان نصًّا في بيان محبته. والنَّصُّ: ما لا يحتمل إلا معنى واحدًا، أو ما لا يحتمل التأويل"[١٦].

وقد عرفه كذلك أبو البقاء الكفوي(ت١٠٩٤هـ) في الكليات قائلًا: "النَّصُّ: أصله أن يتعدى بنفسه؛ لأن معناه الرفع البالغ، ومنه منصة العروس، ثم نقل في الاصطلاح إلى الكتاب والسنة، وإلى ما لا يحتمل إلا معنى واحدًا..."(١٧).

أما عند المعاصرين، فإن تعريف النص بحسب ما ذكره المعجم الوسيط هو: "صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف، ومنه قولهم: لا اجتهاد مع النص، وعند الأصوليين: الكتاب والسنة"(١٨). وقد واجه هذا التعريف انتقادًا من قبل الباحثين؛ لأنه يعرض صفحًا عن الصيغ الأخرى للنص كالمنطوقة مثلًا. والصحيح أن النص كما تفهمه العرب الآن هو صيغة الكلام المنقولة حرفيًا سواء أكانت نطقًا أم كتابة(١٩).

وقد تنوعت تعريفات المعاصرين بتنوع المدارس والتخصصات العلمية، واجتهدوا في إيجاد تعريف جامع مانع للنص، إلا أنهم انقسموا إلى فريقين:

الأول: استطاع التوفيق بين المعنى المعجمي التراثي للنص وماهية النص في العصر الحديث.

والآخر: شدد على غربية المصطلح وأنه من المصطلحات المستحدثة في الثقافة العربية.

فيرى الدكتور صبحي إبراهيم الفقي أن كثيرًا من المعاني التي أوردها القدماء للنص وطيدة الصلة بمفهوم النص عند علمائه الذين يعنون بالنص القطعة من الكلام طالت أو قصرت، فيلاحظ أن الرفع والإظهار يعنيان أن المتحدث أو الكاتب لا بد له من رفعه وإظهاره لنصه كي يدركه المتلقي، وكذلك ضم الشيء، حيث نجد أن النص في كثير من تعريفاته هو ضم الجملة إلى الجملة بالعديد من الروابط(٢٠).

أما الفريق الآخر، فقد نفى علاقة هذا المصطلح الحديث بمفهومه اللغوي في التراث العربي، حيث يقول الدكتور محمد الأخضر الصبيحي: إن "المفهوم الاصطلاحي لكلمة (نص) مفهوم حديث في الفكر العربي المعاصر، وهو ليس وليد هذا الفكر، وإنما هو كغيره من مفاهيم كثيرة في شتى العلوم

الحديثة، وافد علينا من الحضارة الغربية، وهذا ما يجعل البحث عن أصول هذا المصطلح في التراث الفكري العربي وربط ذلك بما يدل عليه في وقتنا الحاضر ضربًا من التحمل الذي لا ترجى منه فائدة ... "[٢١].

وهناك من الباحثين من حاول التوفيق والتقريب بين أصل كلمة (نص) في اللغة العربية وفي اللغات الأخرى التي يعود أصل النص فيها إلى (النسج)، وبناء على ذلك عرف النص بأنه: "نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض، هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد هو ما نطلق عليه مصطلح (نص)"[٢٢].

المطلب الثاني: مفهوم النَّص عند اللسانيين:

يعرفه الدكتور سعد مصلوح بأنه" سلسلة من الجمل كل منها يفيد السامع فائدة يحسن السكوت عليها، وهو مجرد حاصل جمع للجمل- أو لنماذج الجمل- الداخلة في تشكيلته"[٢٣]. ويذهب الدكتور صبحي إبراهيم الفقي في كتابه علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق إلى تبني تعريف "روبرت دي بوجراند"، ويعده من التعريفات الجامعة والذي يرى النص" بأنه حدث تواصلي يلزم لكونه نصًا أن تتوفر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير"[٢٤].

ويقول الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف: " إن النص لا يمكن أن يصبح نصًا إلا إذا كان رسالة نحوية تشغل حيزًا معينًا فيها جديلة محكمة مضفورة من المفردات والبنية النحوية، وهذه الجديلة المضفورة تؤلف سياقًا خاصاً بالنص نفسه ينبث في المرسلة اللغوية كلها"[٢٥].

إن التعريفات السابقة تدور ضمن إطار المفهوم العربي المعاصر للنص، أما في الثقافة الغربية، فثمة اختلاف شديد بين الاتجاهات في تعريف النص إلى حد التناقض أحيانًا والإبهام أحيانًا أخرى، فلا يوجد تعريف معترف به من قبل عدد مقبول من الباحثين من اتجاهات علم لغة النص بشكل مطلق[٢٦].

وفي الثقافة الغربية، نجد أن رقية حسن وهاليداي يعرفان النص في

كتابهما التماسك في الإنجليزية (Cohesion in English) بقولهما: "إن كلمة (نص Text) تستخدم في علم اللغويات لتشير إلى أي فقرة مكتوبة أو منطوقة، مهما كان طولها شريطة أن تكون وحدة متكاملة"(٢٧).

وجملة القول فإن أشمل التعاريف وأكثرها تحديدًا لمفهوم النص هو تعريف روبرت دي بوجراند Robert de Beaugrand وولفجانج دريسلار Wolfrang Dresslar، حيث يعرفانه بأنه: حدث تواصلي، يلزم لكونه نصًّا أن تتوافر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير، وهي: السبك، والحبك، والقصد، والقبول، والإعلام، والمقامية، والتناص(٢٨).

المبحث الثاني

مفهوم الإحالة

الإحالة من الأدوات الضرورية الأساسية التي يعتمد عليها محلل النص كي يثبت مدى اتساق نصه، وهي من الأدوات التي تحقق هذا الاتساق، و"تتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة"(٢٩).

- **المطلب الأول: الإحالة في النص والاصطلاح:**

أ – تعريف الإحالة لغةً:

جاء في لسان العرب: أحال الشيء: تَحَوَّل، وحال الشخص يحول إذا تحوَّلَ. وفي القاموس المحيط: حال الشيء وأحالَ: تحوَّلَ(٣٠).

و"الإحالة في علم اللغة النصي هي وسيلة من وسائل الاتساق، وربط أجزاء النص وتماسكها، فهي تأخذ بعين الاعتبار العلاقات بين أجزاء النص وتجسيدها، وخلق علاقات معنوية من خلال تلك العناصر الإحالية"(٣١).

ب– الإحالة عند النحاة:

الإحالة وإن لم توجد صراحة في كتب المتقدمين، إلا أن الأدوات المستخدمة فيها قد لقيت اهتمامًا واسعًا في كتب النحاة القدماء، فهذا إمام النحو سيبويه يفرد فصلًا كاملًا في الكتاب للضمائر وأحكامها(٣٢)، وللأسماء الموصولة، ولأسماء الإشارة.

وقد نوه الإمام عبد القاهر إلى الإحالة من حيث إنها أداة كثيرة الشيوع والتداول في الربط بين الجمل، والعبارات المختلفة التي تتألف منها النصوص، وعلى الرغم من أنه لم يفرد بابًا للإحالة مثلما أفرد بابًا للفصل والوصل، فإنه عرض لهذه الأداة عرضًا سريعًا دونما قصد، عندما مثل بقولهم: "جاءني زيد وهو مسرع"، فهي من حيث الدلالة واللفظ نظير قولهم: جاءني زيد وزيد مسرع. وعقب على ذلك مؤكدًا أن الضمير (هو) أغنى عن تكرير (زيد)(٣٣).

وقد وردت قضية الإحالة عند النحويين العرب من خلال الاعتماد على"تصنيف الألفاظ إلى ألفاظ غير مبهمة، وهي الألفاظ التي لها دلالة

وتحيل بمفردها على خارجها في الواقع، وألفاظ مبهمة، ولكنك لا تعرف لها خارجًا إلا متى توفر مفسرها، وهذا المفسر قد يكون مقاميًا وقد يكون مقاليًا"(٣٤).

- **المطلب الثاني: الإحالة عند النصيين:**

يعرف دي بوجراند الإحالة REFERNCE بأنها "العلاقة بين العبارات من جهة، وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات"(٣٥).

ونقل براون ويول عن جون لاينز مفهومًا دلاليًا تقليديًا للإحالة بقوله: "العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات هي علاقة إحالة، فالأسماء تحيل إلى المسميات"(٣٦). "ولا يزال هذا المفهوم التقليدي يجد ذيوعًا في الدراسات اللغوية – مثل علم دلالات المفردات – التي تصف العلاقة بين لغة ما والكون، دون أن تأخذ بالاعتبار مستعمل اللغة. ولكننا نجد لاينز يصرح مؤخرًا – وهو يتحدث عن طبيعة الإحالة – بقوله: إن المتكلم هو الذي يحيل، باستعماله لتعبير مناسب. أي إنه يحمِّل التعبير وظيفة إحالية عند قيامه بعملية الإحالة"(٣٧).

أما الإحالة عند هاليداي ورقية حسن فقد استعملها الباحثان استعمالًا خاصًا، وهو أن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها. وتتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة، وهي حسب الباحثين: الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة. وتعد الإحالة علاقة دلالية، ومن ثم لا تخضع لقيود نحوية، إلا أنها تخضع لقيد دلالي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه(٣٨).

وبالإمكان القول إن الإحالة: "عبارة عن ألفاظ ترد في نص لغوي لا تفهم إلا بواسطة علاقتها بألفاظ أخرى داخل النص، أو بعلاقتها بالواقع الخارجي من سياق خاص أو معارف عامة"(٣٩).

المبحث الثالث

أقسام الإحالة ومداها

- **المطلب الأول: أقسام الإحالة:**

أ- الإحالة مقامية أو خارجية Exophorice Reference[٤٠]:

وهي التي تحيل على أشياء وموجودات خارج النص، ويمكن فهم مرجعها من خلال سياق الموقف. وتسمى أيضًا إحالة خارج النص، أو الإحالة إلى غير مذكور كما يسميها الدكتور تمام حسان ترجمة لمصطلح دي بوجراند " Reference Exophorice"، وهي ترجع إلى أمور تستنبط من الموقف لا من عبارات تشترك معها في الإحالة في نفس النص أو الخطاب[٤١].

ويعرفها الأزهر الزناد بقوله: "هي إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي، كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم، حيث يرتبط عنصر لغوي إحالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم، ويمكن أن يشير عنصر لغوي إلى المقام ذاته، في تفاصيله أو مجملًا إذ يمثل كائنًا أو مرجعًا موجودًا مستقلًا بنفسه، فهو يمكن أن يحيل عليه المتكلم"[٤٢]، أي أن الإشارة تكون إلى خارج النص.

ومن أبرز العناصر الإحالية التي تشير إلى خارج النص: ضمير المتكلم، وضمير المخاطب، والاسم العلم، حيث يعود ضمير المتكلم في الغالب إلى المرسل، أما ضمير المخاطب فيعود إلى المستقبل، وقد يعود الاسم العلم إلى المخاطب أو إلى مرجع إحالي آخر يفهم من السياق.

ب- إحالة داخل النص (إحالة نصية) Endophora Reference[٤٣]:

وهي إحالة على العناصر اللغوية الواردة في النص، سابقة كانت أو لاحقة، ويمثلها تركيب لغوي يشير إلى جزء ما من عناصر النص التي ذكرت فيه صراحة أو ضمنًا، وهذه الإحالة هي التي تسهم في ربط أجزاء النص.

ولهذه الإحالة أنواع مختلفة باعتبارات متعددة من أهمها موضع العنصر اللغوي المحيل، وموضع العنصر اللغوي المحال عليه، ونوع العنصر اللغوي المحال عليه، فهي بالنظر إلى موضع المحيل والمحال عليه نوعان:

الأول- إحالة على السابق، أو الإحالة القبلية Anaphora:

وهي تحيل إلى مفسِّر سابق جرى ذكره في النص ذاته، وتعد هذه الإحالة من أكثر الإحالات شيوعًا في النص اللغوي، ومن أمثلتها: ارسم شجرة. فيها عصفورة. فضمير الغيبة يمثل عنصرًا إحاليًا يعوض لفظة (شجرة)، ويربط في الوقت نفسه بين الجملتين. لذلك يعد هاليداي ورقية حسن ضمير الغيبة بأشكاله المختلفة من أكثر العناصر الإحالية النصية قدرة على الربط بين النص، وخاصة الإحالة على ما قبل.

ويعرفها الدكتور صبحي إبراهيم الفقي بقوله: "هي إحالة على سابق أو إحالة بالعودة، وهي استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سابقة في النص أو المحادثة"(٤٤).

الثاني- إحالة على اللاحق، أو الإحالة البعدية Cataphora:

وهي استخدام كلمة ما بديلًا لكلمة أو مجموعة من الكلمات اللاحقة لها في النص، وبتعبير آخر: "استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سوف تستعمل لاحقاً في النص أو المحادثة"(٤٥). ويمكن القول بأنها "في الاتجاه المعاكس للإحالة القبلية، تتم فيها الإشارة إلى الأمام لعنصر لاحق، بحيث يرد ذكر العنصر الإحالي في النص قبل ذكر مفسِّره أو مرجعه"(٤٦).

وهذا النوع أقل وجودًا في اللغة العربية من الإحالة على السابق.

المطلب الثاني: المدى في الإحالة:

من التقسيمات التي تختص بها الإحالة النصية أنها تتفرع إلى فرعين بحسب المسافة بين العنصر المحيل والعنصر المحال عليه، فتكون كما يأتي:

أ- **إحالــة ذات مــدى قريــب**[٤٧]، سـواء أكانـت قبليـة أم بعديـة، وتكـون المسافة الفاصلة بين الأداة ومرجعها لا تتعدى حدود الجملة الواحدة، وتعد هذه الإحالة قوية في تحقيق الترابط والاتساق في النص.

ب-إحالــة ذات مــدى بعيــد[٤٨]، وهنـا تكـون المسـافة الفاصـلة بـين الأداة الإحالية ومرجعها في جمل متباعدة في النص، "فالإحالات المفصولة عن العنصـر المحـال إليـه توسم بأنهـا ذات مـدى بعيد، فـإذا اتصـل موضـوع الحـديث يصـنف مـدى بعيـدًا متصـلًا، وإذا انتقـل موضـوع الحـديث إلـى موضوع آخر فهي ذات مدى بعيد منفصل"[٤٩].

المبحث الرابع

الدراسة التطبيقية

المطلب الأول: عنوان القصيدة:

سنحاول الآن استجلاء العلاقات الاتساقية في قصيدة "دموع" حيث يعد العنوان العتبة الأولى التي تصادف عين القارئ والمفتاح الذي يسمح لنا بالولوج إلى أقسام القصيدة، فهي من أصدق القصائد التي جادت بها قريحة الشاعر صقر الشبيب، كيف لا والعاطفة هنا جياشة، والمشاعر مشتعلة متقدة بنار الفراق، فراق أكثر أصدقاء الشاعر إخلاصًا له وقربًا من قلبه.

لقد لجم لسان الشاعر لمدة أربعين يومًا من وفاة خليله، ولم ينبس ببنت شفة من الشعر، ولم يستطع أن يبوح بمكنون نفسه إلا بعد تلك الأيام الجاثية على صدره، ولكن بعد مرور الأربعين يوما انثالت أبياته انثيالًا، تسبقها دموعه كالسيل المنهمر.

فالقصيدة رثاء في خليله المقرب إلى نفسه، بيّن فيها المنزلة العظيمة التي يتبوؤها الشيخ في نفوس أهل الكويت جميعًا، وقبل ذلك في نفس الشاعر.

وقد عمد الشاعر إلى اختيار الهمزة لتكون رويًّا للقصيدة وردفها الألف؛ فالهمزة صوت مجهور انفجاري، وفي نطقه يحتاج لمجهود عضلي كبير. هذه الهمزة وما تتصف به من صعوبة في النطق تواءمت مع موضوع القصيدة، ورؤية الشاعر لرحيل خليله من هذه الدنيا الفانية إلى دار البقاء، وتناسقت أيضًا مع الحالة النفسية التي يعيشها كونه واقعًا تحت ضغط العناء والمصاعب والمشقة التي خلفها فقدانه لأعز خليل لديه.

وقد زاد من قوة الصوت الموازي لشدة المعاناة حركة الهمزة (الضمة)، فالضمة قوية وفخمة عند نطقها، الأمر الذي ناسب ذلك الواقع العسر

على نفس الشاعر، كما زاد المعاناة حرف المد (الألف)، فأوحى إيحاءً شديدًا بالكرب والعناء.

إن طول الصوت الذي عبر عنه الألف والهمزة وحركة الضم يقترن دائما بالنفس الحزينة التي تعاني من ضغط نفسي شديد، وحالة معنوية قاسية، وهي تحتاج لمد صوتها؛ للتخلص من ذلك المكنون، ذلك الكبت، ذلك الحزن العميق، ولفظه في نهاية كل بيت، فهي آهات تنطلق من صدر ضيق، إنها زفرات حرّى تبث لهيبها عله يخفف من نار غلوائها.

وقد انقسمت القصيدة إلى عدة أقسام:

١- بيان منزلة الشيخ الدحيان العظيمة في بلده الكويت وبين أهله ومجتمعه.

٢- ما خلفه رحيل الشيخ من حزن شديد ومعاناة ف نفس الشاعر.

٣- الحياة الهانئة التي تنتظر الشيخ الدحيان في جنات النعيم، ووصفها.

٤- الإنكار على اللائمين الذين انتقدوا الشاعر لحزنه المفرط.

٥- دعاء وترحم وتأكيد لمنزلة الشيخ الدحيان.

المطلب الثاني: إحالات القصيدة:

جاءت الإحالة بجميع أنواعها في القصيدة، فقد وردت بالضمير، واسم الإشارة، والاسم الموصول. ومما لا شك فيه أن الضمير هو الأكثر وجودًا وتكرارًا في تلك القصيدة، وذلك الربط الإحالي يسهم في ربط أجزاء النص وتناسقه، وينسجم كل منهما مع قانون الاقتصاد اللغوي الذي تختزل فيه اللغة الخطاب اللغوي وتكثفه؛ إذ تختصر هذه الوحدات الإحالية العناصر الإشارية، وتجنب مستعملها إعادة تكرارها(٥٠).

فالإحالة الضميرية التي تشمل الضمائر والإشارة أداة يلجأ إليها المرسل في سبيل إقامة نص متناسق؛ إذ ترتبط الإحالات بالجملة الأولى، ولا تعدو أن تكون دمجًا واختصارًا لبعض عناصرها، ما يسهل على المتلقي ربط عناصر النص أحدها بالآخر، وإرجاع كل إحالة إلى مرجعها النصي(٥١).

فالإحالة بأنواعها تفيد الاختصار، وتربط أجزاء الكلام ترابطًا ونسيجًا عن طريق عود المحيل إلى المحال إليه في النص سواء أكان متقدمًا عليه أم متأخرًا، وهذا يخلق شبكة من العلاقات الإحالية بين العناصر المختلفة والمتباعدة في فضاء النص، الأمر الذي يجعل النص مترابطًا متناسقًا.

أما الإحالات التي تحيل إلى خارج النص، فيتضح دورها من خلال ربط أجزاء الكلام بالمحيط الخارجي، وسيظهر من معالجة النص أنواع الإحالات المختلفة.

يقول الشاعر صقر الشبيب:

ما بَعْدَ فَقْدِكَ لِلْكويْتِ عَزَاءُ أَنَّى وَأَنْتَ بِجِسْمِها الحَوْباءُ(٥٢)

في هذا البيت ثلاث إحالات، إذ وجد الضمير (كاف الخطاب) في صدر البيت (فقدك)، فقد أحال الضمير إحالة مقامية إلى الشاعر الدحيان وهو الذي قيلت القصيدة فيه، وهنا يمنح الشاعر القصيدة هالة قوية وطاقة تنتشر في فضاء النص الخارجي لتزيده تماسكًا. ثم يكرر الشاعر الإحالة المقامية بواسطة ضمير الخطاب (أنت) بقوله: (وأنت بجسمها) ليسهم في إعطاء المزيد من ربط النص بالمحيط الخارجي له. وبعد ذلك تأتي الإحالة النصية ذات المدى القريب في قوله (بجسمها) بتوظيف ضمير الغيبة (الهاء) الذي يعود إلى الكويت، فالإحالة هنا على سابق قريب، أي أنها إحالة قبلية.

ويقول في البيت الثاني:

ما مُتَّ أَنْتَ وإِنْ حَوَتْكَ حَفيرَةٌ لَفَظَتْكَ فيها الآلَةُ الحَدْباءُ

بالرغم من رحيل خليله فإن الشاعر ما زال حريصًا على العروة الوثقى والرابطة المتينة التي تربطه به، فقد عمد إلى الإتيان بضمير بضمير المخاطب (أنت) في قوله ما مت أنت، ليحيل إلى الدحيان إحالة مقامية ربطت النص بالواقع الخارجي، وسرعان ما يدرج الإحالة الثانية والثالثة في أعقاب الإحالة الأولى قائلًا: (حوتك) ، (لفظتك) فكاف الخطاب ضمير يعود على الدحيان كذلك، وهنا إحالتان مقاميتان ساهمتا بربط النص بعالمه المحيط، ثم يستعين بالضمير

(هاء الغيبة) بقوله: (فيها)، وهنا يحيل إلى الحفيرة التي سبقت الجار والمجرور، فالإحالة هنا نصية قبلية ذات مدى قريب، وقد أظهرت لنا براعة الشاعر وتمكنه من قواعد اللغة.

وفي البيت الثالث يقول الشبيب:

ما كانَ مَوْتُكَ غَيْرَ سُلَّمِ جَنَّةٍ فيها تَدومُ لِمِثْلِكَ النَّعْماءُ

في هذا البيت ثلاث إحالات، الأولى في ضمير الخطاب (موتك)، وهي إحالة مقامية، إذ يحيل للفقيد الدحيان، والثانية ضمير الغيبة (فيها) العائد على الجنة، وهي إحالة على مذكور سابق، فهنا إحالة نصية ذات مدى قريب، أما الإحالة الثالثة فتظهر في قوله (لمثلك) التي تأتي متناسقة مع ارتباط الشاعر الوثيق بصديقه المخلص الدحيان، فهو مستمر بمخاطبته وكأنه ماثلٌ أمامه، فالإحالة مقامية نقلت المتلقي إلى الفضاء الخارجي للقصيدة وساهمت بربط النص بواقعه.

ويقول في البيت الرابع:

عَجِلَتْ فَمَدَّتْهُ لِيُفْضِيَ مُسْرِعًا بِكَ نَحْوَها مِنْ رَبِّكَ الْآلاءُ

وهنا نجد الإحالات منتشرة، فالإحالة الأولى في ضمير الغائب (الهاء) في قوله (فمدته) العائد على السلم في البيت السابق، وهي إحالة نصية على سابق ذات مدى قريب، والإحالة الثانية هي الضمير المستتر (هو) العائد على السلم في قوله (ليفضي)، وهي إحالة نصية ذات مدى قريب، والإحالة الثالثة هي ضمير الخطاب (الكاف) في قوله (بك)، وهنا يخاطب الشاعر صديقه متصورًا وجوده وقربه، والملاحظ أن انتشار هذه الإحالات دليل واضح على الاتساق والتلاحم النصي، كما أن الإحالة المقامية قد نقلت القارئ إلى فضاء النص لتساهم بالمزيد من الوشائج بين النص ومحيطه.

ثم تأتي الإحالة الرابعة في قوله (نحوها) وهي ضمير الغيبة (الهاء) العائدة على (الجنة) في البيت السابق، وهنا إحالة نصية على سابق ذات مدى قريب، وقد ساهمت بدور حيوي في الربط بين البيت المذكور والبيت الشعري السابق،

كما استعان الشاعر مرة أخرى بكاف الخطاب بقوله (ربك) موجها الكلام نحو الفقيد؛ ليكشف من حجم الترابط بين النص وجوّه الخارجي، وهذه الإحالة الخامسة في البيت إحالة مقامية، ولنمعن النظر في تلك الإحالات الخمس، حينها سنجد ذلك الاتساق والترابط العظيم بين النص وجزئياته الداخلية المتمثلة في صدر البيت وعجزه أو في البيت وما يسبقه من أبيات شعرية، وتلك إحالة نصية داخلية، أو بين النص ومحيطه الخارجية وتلك إحالة مقامية خارجية.

ومما لا شك فيه أن الضمائر السابقة قد أدّت دورًا كبيرًا في اتساق أجزاء النص، وهنا يتضح الدور الكبير الذي يقوم به العنصر الاتساقي في تلاحم أجزاء الخطاب والحفاظ على استمراره وتآزره.(٥٣)

وفي البيت الخامس يقول صقر الشبيب:

أَصْبَحْتَ لِلْفِرْدَوْسِ عَنَّا راحِلًا عَجْلانَ مُذْ مِنْها أَتاكَ نِداءُ

ما فتئ الشاعر في حالة تكثيف للمشاعر الجياشة، فالفقيد أمامه وهو يوجه الخطاب له بقوله (أصبحت) مستخدمًا ضمير الخطاب (التاء) ليحيل إحالة مقامية إلى صديقه الدحيان، وكذلك يحيل الضمير (نا المتكلمين) بقوله (عنا) إلى الجماعة ويعني بذلك أهل الكويت جميعهم، وهنا إحالة مقامية تنقل القارئ والمستمع إلى فضاء النص المحيط به، ثم يأتي بالضمير (هاء الغيبة) بقوله (منها) ليمد حبل الوصل بين عجز البيت وصدره، فالضمير عائد على سابق مذكور (الفردوس)، وهذه إحالة نصية قبلية ذات مدى قريب، ثم تبرز الإحالة الرابعة في قوله (أتاك)، فضمير المخاطب (الكاف) عائد على الفقيد، وهي إحالة مقامية نقلت المتلقي إلى خارج النص، وحينها تتشكل في ذهن المتلقي صورة واضحة المعالم بينة التفاصيل لما يستمع إليه أو يقرؤه. وكل هذا يستمده من خلال مجموع الإحالات سواء النصية أم المقامية.

وفي البيت الآتي وهو السادس، يبين الشاعر أثر الرحيل الشديد على البلاد وأهلها فيقول:

فَغَدا رَحيلُكَ لِلْكُوَيْتِ وَأَهْلِها مَوْتًا زُؤامًا ما بِهِ إِبْقاءُ

يستمر الشاعر في إشاعة جو الترابط الشديد بين النص وعالمه الخارجي عبر الاستعانة بضمير الخطاب (الكاف)، ليحيل إلى الراحل إحالة مقامية، وفي قوله (أهلها) يستمد من الضمير (هاء الغيبة) عنصرًا إحاليًا عائدًا على مذكور ذي مدى قريب (الكويت)؛ ليحقق بذلك التضافر المنشود، وهي إحالة نصية، وفي الإحالة الثالثة يساعد الضمير (هاء الغيبة) في الاتصال الوثيق بينه وبين ما يعود عليه (موتًا زؤامًا)، وهي إحالة نصية ذات مدى قريب.

ويقول في البيت السابع موضحًا مقام الشيخ الكبير:

كُنْتَ القِوامَ الْمَعْنَوِيَّ لِمَوْطِنٍ فَدَحَتْ عَلَيْهِ بِبَيْنِكَ الْأَرْزاءُ

هنا إحالتان مقاميتان، وإحالة نصية، أما المقاميتان فالأولى في قوله (كنت) إذا أتى بالضمير (تاء المخاطب) ليحيل بها إلى الشيخ الدحيان، والإحالة الثانية في قوله (ببينك) حيث جاء بالضمير (كاف الخطاب) العائد على الشيخ الدحيان، وهذان الإحالتان وفرتا نوعًا من التآزر بين النص وعالمه المحيط به، فمتلقي النص قارئًا أم مستمعًا ما انفك في عملية ربط حثيثة بين عالمه الداخلي في النص وعالمه الخارجي في فضاء النص، ولا نغفل الدور الحيوي الذي قامت به الإحالة النصية ذات المدى القريب في قول الشاعر (عليه) حيث أدى الضمير (هاء الغيبة) الدور المناط به كاملًا، فتعاون مع العنصر المحال إليه (لموطن) محققًا التماسك المنشود بين صدر البيت وعجزه.

ويقول في البيت الثامن مبشرًا خليله الراحل بالفوز بحياة خالدة:

إِنْ فُزْتَ بِالْمَحْيا الْمُؤَبَّدِ بَعْدَهُ فَالْبُعْدُ مِنْكَ أَتاهُ وَهْوَ فَناءُ

يواصل الشاعر في هذا البيت استخدام الإحالة المقامية بكثافة، فمشاعر الصديق عنده فقده لصديقه طاغية على النص، حيث جاء الضمير (تاء المخاطب) في قوله (فزت) ليمثل الإحالة المقامية الأولى، وتأتي الإحالة المقامية الثانية في قوله (منك)، إذ نشاهد الحضور القوي لكاف الخطاب، وينقلنا الشاعر بواسطة ضمير الغائب في قوله (بعده) الذي يعود على كلمة

(موطن)، وهنا ربط بالإحالة النصية البيت اللاحق ببيت سابق له، وهي إحالة نصية ذات مدى قريب لمذكور سابق، وكذلك تأتي الإحالة النصية الثانية في قوله (أتاه) فالضمير (هاء الغيبة) العائد على كلمة (موطن) قد ربط هذا البيت أيضًا بالبيت السابق له، وهي إحالة ذات مدى قريب إلى مذكور سابق، وفي البيت إحالة نصية ثالثة تظهر جليًا في الضمير الغائب (هو) في قوله (وهو فناء) وهنا إحالة ذات مدى قريب على مذكور سابق (موطن).

لقد بث الشاعر في هذا البيت ثلاث إحالات نصية، وجميعها تعود لعنصر إشاري واحد وهو (موطن)، فلنا أن نتصور الخيوط التي تنطلق من تلك الكلمات لتشتبك بكلمة (موطن) مشكلة ذلك النسيج القوي.

ويبين في البيت التاسع دور العلماء العظيم في بلدانهم وبين شعوبهم قائلًا:

وَإِقامَةُ الْعُلَماءِ مَحْيا شَعْبِهِمْ وَحِمَامُهُ أَنْ تَرْحَلَ الْعُلَماءُ

في هذا البيت إحالتان نصيتان، تلاحظ الأولى في قوله (شعبهم) إذا استخدم ضمير الغائب العائد على سابق مذكور (العلماء)، فهي إحالة نصية ذات مدى قريب، وبعد ذلك استعان بضمير الغائب مرة أخرى في قوله (وحمامه)، وهو يعود على مذكور سابق في صدر البيت (شعبهم)، وهنا شكلت جسور التضافر بين عجز البيت وصدره شبكة علاقات متينة، وهو أمر قد ساهم في تعاضد أجزاء النص؛ لتحقق المزيد من التلاحم.

كما يتطرق في البيت العاشر إلى حال القوم بعد أفول نجم العلماء فيقول:

فَإِذا عَنِ الْأَقْوامِ مِنْ عُلَمائِهِمْ غَرَبَتْ بِجَنَّاتِ الخُلُودِ ذُكاءُ(٥٤)

هنا إحالة نصية واحدة في قوله (علمائهم)، حيث يعود ضمير الغائب على سابق مذكور (الأقوام)، وهي إحالة ذات مدى قريب.

ويقول في البيت الحادي عشر:

فَابْسُطْ إِلى الأَقْوامِ كَفَّ مُوَدِّعٍ فَلَقَدْ تَنَبَّهَ فيهِمُ الإِرْداءُ

يحيل الشاعر إلى الفقيد إحالة مقامية في قوله (فابسط)، حيث يأتي بضمير مستتر تقديره (أنت) وهو يدل على الخطاب؛ ليوفر ذلك التواصل

المنشود بين النص وبين عالمه الخارجي الذي يمثله خليله المفقود، وفي عجز البيت يحيل عبر استخدام ضمير الغائب (هم) إلى كلمة (الأقوام) السابقة في صدر البيت مما ساهم في إيجاد الترابط المطلوب بين صدر البيت وعجزه، فقد مد ذلك الضمير جسورًا من التآزر بين شطري البيت الشعري، وهي إحالة داخلية قبلية ذات مدى قريب، وقبل ذلك نقل الشاعر البيت برمته عبر الضمير المستتر (أنت) إلى العالم الخارجي للنص، مما يجعل القارئ في حالة من التعاضد الشديد مع النص أولًا ثم مع محيطه ثانيًا.

ويقول في البيت الثاني عشر:

غادَرْتَ أَمْواهَ العُيونِ جَوارِيًا أَسَفًا عَلَيْكَ تَمُدُّهُنَّ دِماءُ

ما زالت عيون القوم تجري دمعًا، فإن نفد الدمع رفده الدم بالمدد حزنًا على الفقيد العظيم، وبقوله (غادرت) ربط الشاعر النص بالمقام الخارجي فهنا إحالة مقامية عبر عنها الضمير (تاء المخاطب)، أما الإحالة الثانية الواردة في البيت فهي إحالة نصية قبلية، عائدة على الضمير الغائب (هن) على العيون، مما ساهم بالربط بين عجز البيت وصدره، وهي إحالة ذات مدى قريب، فالمسافة قريبة بين الأداة ومرجعها.

ثم ينتقل الشاعر للمقارنة بين خليله المفقود وبين الأحياء فيقول في البيت الثالث عشر:

فَاعْجَبْ لِأَمْواتٍ أَسالَ دُمُوعَهُمْ حَيٌّ أَتاهُ مِنَ الإِلهِ دُعاءُ

يدعو الشاعر هنا إلى تعجب متلقي النص من دموع القوم على رجل لم يمت في حقيقة الأمر، بل حي يرزق عند ربه، فقد دعاه المولى واختاره لحياة الخلود، والذي ربط النص بالمقام تلك الإحالة المقامية الرائعة التي يعبر عنها الضمير المستتر (أنت) حيث يعود ذلك الضمير إلى متلقي النص، فقد وجه الشاعر كلامه إليه بقوله (فاعجب)، وهنا يحدث التعاضد بين النص وبين فضائه الخارجي الذي يمثله هنا المتلقي قارئًا أم مستمعًا، وبعدها تأتي

الإحالة الداخلية حيث يعبر عنها ضمير الغيبة (الهاء) في قوله (دموعهم) العائد على كلمة (أموات)، وهي إحالة قبلية ذات مدى قريب، وفي البيت إحالة ثالثة في قوله (أتاه)، فقد أحال ضمير الغائب (الهاء) إلى (حي) وهي إحالة نصية ذات مدى قريب، وهذه الإحالات تضافرت معًا لتوفر شبكة من العلاقات بين مفردات البيت نفسه، وبين النص وعالمه الخارجي.

ويقول في البيت الرابع عشر:

وَلَقَدْ بَكتْكَ وَقَدْ أَحَسَّتْ قَبْلَنا مِنْكَ الْفِراقَ الدِّيمَةُ الوَطْفاءُ

في البيت تداخل بين الإحالة النصية والإحالة المقامية، إذ تبرز الإحالة المقامية بقوة هنا وتتضح من خلال الضمير (كاف الخطاب) الوارد في قوله (بكتك) ويعود على الشيخ الفقيد، كما تأتي الإحالة المقامية الثانية بقوله (قبلنا) إذ يعود ضمير المتكلمين (نا) على الشاعر ومحبي الشيخ وأشياعه، كما تأتي الإحالة المقامية الثالثة في قوله (منك) حيث يحيل الضمير (كاف الخطاب) إلى الفقيد، وهذه الإحالات المقامية الثلاث شكلت نسيجًا مترابطًا بين النص والمقام الخارجي، الأمر الذي يسهم في خلق صورة مترابطة ومتكاملة لدى متلقي النص.

ويتابع الشاعر حديثه عن الديمة الوطفاء ومعاناتها الشديدة من رحيل الفقيد، فيقول في البيت الخامس عشر:

قَدْ غاضَ ماءُ جُفُونِهَا حتى إذا أَزِفَ التَّرَحُّلُ مِنْكَ فاضَ المَاءُ

في البيت إحالتان، الأولى في قوله (جفونها) حيث أحال الضمير (هاء الغيبة) إلى الديمة الوطفاء الواردة في البيت السابق، فالعنصر الإحالي عائد على المحال إليه أو العنصر الإشاري (الديمة)، وهي إحالة نصية قبلية، أما عن المدى الإحالي فهو ذو مدى قريب إذ الفاصل بين الأداة ومرجعها كلمات قليلة. أما عن الإحالة الثانية فهي إحالة مقامية تبدو في قوله (منك) حيث يحيل الضمير (كاف الخطاب) إلى الفقيد وكأنه غيث منهمر، فالعنصر الإحالي هنا يعود إلى الفقيد، ومن ينظر إلى هذا البيت يجد ذلك الترابط

المتين بينه وبين البيت السابق، وكذلك بين أجزائه المكونة له، وما ذلك إلا لوجود الضمائر التي "تعد العصب الرئيس الساري في بناء النص؛ فيها ومن خلالها يتبدى تماسكه، وبها ومن خلالها يمكن تلقيه، وبدونها يغدو النص مفككًا، فالضمائر تقوم بدور الرابط بين أجزاء النص بشكل عام"(٥٥).

وفي البيت السادس عشر يبين قدر الألم الذي لحق بالديمة حزنًا على الفقيد الجليل فيقول:

أَحْشاؤُها ذابَتْ بِنارِ تَنَهُّدٍ تُدْعَى الْبُروقَ فَسالَتِ الْأَحْشاءُ

البيت فيه إحالتان، ففي الإحالة الأولى يحيل العنصر الإحالي وهو ضمير الغيبة (الهاء) في قوله (أحشاؤها) إلى المحال إليه (الديمة)، وهي إحالة داخلية قبلية، والمدى فيها قريب، أما الإحالة الثانية ففي قوله (ذابت) حيث يحيل الضمير المستتر (هي) إلى مرجعه الإحالي (أحشاؤها)، والإحالة داخلية قبلية ذات مدى قريب أيضًا، وقد أسهمت الإحالة الأولى في ربط البيت ببيت سابق له عبر ضمير الغيبة (الهاء) العائد على مذكور سابق، وهو ما أدى إلى التضافر بين أجزاء النص بشكل عام.

ويقول في البيت السابع عشر:

حَتَّى لَخِفْنا أَنْ يَعُمَّ بِسَيْلِها دُورَ الْكُوَيْتِ الْهَدْمُ وَالْإِبْلاءُ

يستعين الشاعر في هذا البيت بالإحالة المقامية، فنراه يأتي بضمير المتكلمين (نا) فينقل المستمع إلى البيئة الخارجية للنص موضحًا خوف أهل البلاد من عموم السيل جميع الدور، وهنا انتقال من داخل النص إلى خارجه، وما ساعد على ذلك هو العنصر الإحالي (نا) الذي تآزر مع المرجع الإحالي (أهل البلاد)؛ ليشكلا معًا نسيجًا، كما جاءت الإحالة الثانية في قوله (بسيلها)، فأحال الضمير (هاء الغيبة) إلى مرجعه الإحالي (الأحشاء) في البيت ما قبل السابق، وهي إحالة نصية قبلية والمدى الإحالي بها قريب. ويبدو من خلال تحليل البيت أن الإحالة "بوساطة الضمير من عوامل الربط التي تفيد الكلام تماسكًا، واتساقًا، وتنفي عنه التكرار، وتجنبه التشتت"(٥٦).

وفي البيت الثامن عشر يقول الشاعر الشبيب:

وَغَدا يَرَى الْغَيْثَ الَّذي هُوَ رَحْمَةٌ كُلٌّ مِنَ السُّكَّانِ وَهْوَ بَلاءُ

هنا يستخدم الشاعر لأول مرة وسيلة جديدة من وسائل الاتساق الحالية، وهي الاسم الموصول (الذي)، حيث يحيل بتلك الأداة إلى عنصر سابق (الغيث) إحالة نصية قبلية على قريب، ويحيل كذلك إحالة نصية ثانية بالضمير المنفصل (هو) العائد على (الغيث)، وهي إحالة نصية قبلية ذات مدى قريب، وفي آخر البيت يستخدم الضمير المنفصل (هو) مرة أخرى ليحيله إلى المرجع الإحالي (الغيث) كذلك، وقد اشترك المرجع الإحالي (الغيث) في عودة العناصر الإحالية الثلاث جميعها إليه، وهنا لطيفة إذ تعدد العنصر الإحالي، وفي الوقت نفسه فإن المرجع الإحالي واحد، ومن الواضح أن ذلك يؤدي إلى تشابك واتصال وثيق بين المحيل والمحال إليه، فالقارئ أو المستمع يبحث عن عود الضمير، فيجد خيوطًا متشابكة تنطلق من العنصر المحيل وصولًا إلى المحال إليه (الغيث)، وهو لا يمكن أن يفهم ما يحيل إليه الضمير إلا بالرجوع للمحال إليه؛ مما يجعل الكلام في النص متسقًا ومترابطًا.

ويقول في البيت التاسع عشر:

وَكَذا لِفَرْطِ مَزِيدِها أَوْ نَقْصِها عَنْ حالِها تَتَحَوَّلُ الْأَشْياءُ

وهنا تطل علينا الإحالة النصية البعدية لأول مرة حيث يحيل الشاعر الضمير المتصل (هاء الغيبة) ثلاث إحالات في قوله (مزيدها) و(نقصها) و(حالها)، وهي إحالات نصية بعدية ذات مدى قريب، حيث أحال العناصر الإحالية إلى المرجع الإحالي (الأشياء)، وهو بهذا يسهم بتعاضد صدر البيت وعجزه عبر العلاقات المتداخلة.

وفي البيت العشرين يقول:

لَبِثَتْ تَنوحُ وَتَكْتُمُ السِرَّ الَّذي ناحَتْ لَهُ مِنْ فَوْقِنا الْأَنْواءُ

في البيت عدة إحالات متنوعة، ففي قوله (بثت، تنوح، ،تكتم) ثلاث إحالات نصية قبلية على مذكور سابق، حيث أحال الضمير المستتر (هي) إلى

المرجع الإحالي (الديمة الوطفاء) وهي إحالة ذات مدى بعيد كما نلاحظ، فقد ذكرت (الديمة الوطفاء) في البيت الرابع عشر، وهذا يوضح مدى التآزر والتشابك بين أبيات النص، كما تأتي الإحالة الرابعة في قوله (الذي) حيث يحيل العنصر الإحالي إلى مذكور سابق (السر)، وهي إحالة نصية قبلية والمدى فيها قريب، أما الإحالة الرابعة ففي قوله (له) حيث أحال الضمير المتصل (هاء الغيبة) إلى المرجع الإحالي (السر)، ويلاحظ اشتراك إحالتين في عنصر إحالي واحد وهو ما يسهم في تشابك الخيوط التي تشكل عصب النص، وتأتي الإحالة الخامسة والأخيرة في البيت في قوله (فوقنا) حيث يحيل ضمير المتكلمين (نا) إلى أهل البلاد وأصدقاء الفقيد، وهي إحالة خارجية ربطت المتلقي بجو النص الخارجي، والبيئة المحيطة به، ولا ريب أن تلك الإحالة الخارجية مما يسهم في توثيق الصلات بين النص ومتلقيه، فـ "الإحالة خارج النص أو خارج اللغة، إحالة مقامية تعتمد على سياق الموقف"(٥٧).

ويقول في البيت الواحد والعشرين:

حَتَّى رَحَلْتَ فَعَادَ سِرُّ نُواحِها يَوْمَ الرَّحيلِ وما عَليهِ خَفاءُ

يتواصل في هذا البيت استخدام الإحالات المختلفة مقامية كانت أم نصية؛ لتؤدي الدور المناط بها بأحسن صورة، فنجد الشاعر قد أتي بالإحالة المقامية في قوله (رحلت) بواسطة ضمير الخطاب (تاء الفاعل) العائد على الفقيد، فهو ينقل المتلقي هنا نقلة مختلفة، وتحديدًا إلى المقام الخارجي، وفي ذلك ما فيه من تعاضد النص مع فضائه المحيط به. ثم ينتقل إلى إحالة أخرى ولكنها إحالة نصية مستعينًا بالضمير الغائب في قوله (نواحها) ليربط بين العنصر الإحالي (الضمير) والعنصر المحال إليه (الديمة الوطفاء) السابق في البيت الرابع عشر، ولا شك أن انتقال متلقي النص من هذا البيت إلى البيت المذكور يزيد من الصلات والترابط بين أجزاء النص الواحد، كما أن المدى الإحالي البعيد جعل المتلقي يسعى باحثًا عن العنصر المحال إليه،

فإذا وجده تحقق التآزر المطلوب. وفي البيت إحالة نصية قبلية وهي في قوله (عليه) حيث يعود الضمير إلى العنصر المحال إليه (سر)، وهي ذات مدى إحالي قريب.

ويواصل الشاعر إبداعه في وصف معاناة أهل البلاد من رحيل الفقيد فيقول في البيت الثاني والعشرين:

فَثَنَى رَحيلُكَ كُلَّ مُقْلَةِ مُسْلِمٍ بِالدَّمْعِ وَهْيَ سَحابَةٌ غِرَّاءُ

وهنا يتبرز الإحالة المقامية أيضًا في قوله (رحيلك) إذ يمثلها الضمير (كاف الخطاب) خير تمثيل، فيوجه ذهن القارئ والمستمع إلى فضاء النص باحثًا عن عائد الضمير، ليجده في الفقيد، كما يستخدم الضمير المنفصل (هي) ليحيل به إحالة نصية قبلية، فهو يعود إلى (مقلة)، وهي إحالة ذات مدى قريب. وهاتان الإحالتان أسهمتا في إمداد النص بالقوة التي تمنحه المزيد من الترابط.

ويستمر الشاعر في إيراد التشابه الكبير بين السحب وعيون المفجوعين من ألم الفراق، وفي الوقت نفسه يستمر في الإحالة الخارجية، فيقول:

حَتَّى انْثَنَتْ طَوْعَ الشُّجونِ عُيونُنا هِيَ والسَّحائِبُ في البُكاءِ سَواءُ

وهنا يحيل إلى أصدقاء الفقيد ومحبيه من أهل البلاد في (عيوننا)، حيث الضمير المتصل (نا المتكلمين)، وهي إحالة خارجية، ويأتي بعدها بإحالة داخلية ذات مدى قريب في قوله (هي) حيث يعود الضمير المنفصل إلى (عيوننا).

ويمكن القول إن الإحالة المقامية قد خلقت تواصلًا بين القارئ وبين فضاء النص الخارجي مما سمح له بفهم واسع وعميق لمقاصد الشاعر، ومرامي النص، فالإحالة الخارجية "تسهم في صنع النص عبر ربطه بالسياق الخارجي أو سياق الموقف، حيث يكون العنصر المشار إليه عنصر (المرجع) محددًا في سياق الموقف (خارج النص)"[٥٨].

وما زال الشاعر ينسج على منوال الإحالة الخارجية:

إِنْ كانَ وَصْفي أَمْسِ عِنْدَكَ شاعِرًا فَالْيَوْمَ وَصْفِي النَّائِحُ الْبَكَّاءُ

ففي البيت يستخدم الإحالة الخارجية ثلاث مرات، الأولى والثالثة في (وصفي)، حيث العنصر المحال إليه (الشاعر)، وفي الإحالة الثانية (عندك) يحيل الضمير المتصل (كاف الخطاب) إلى (الفقيد)، وجميع هذه الإحالات إحالات مقامية إلى فضاء النص، ويتضح لنا ما للإحالة المقامية من دور كبير في ربط النص بسياقه، فـ"السياق الآن يمثل حجر الأساس في علم لغة النص، حيث ينبني عليه التحليل النصي بكل مستوياته. والحقيقة أن دور السياق في تحليل النص وفهمه ترسّخ عبر دراسات لغوية عديدة، اختلفت في اتجاهاتها، وتنوعت في لغاتها، وتباعدت في زمانها ومكانها، وهو ما يجعل هذا الدور غير ذي حاجة إلى مزيد من التأكيد والإثبات"(٥٩).

وفي البيت الآتي ينوع الشاعر في الإحالات ما بين نصية ومقامية، فيقول:

أَوْ كُنْتُ قَبْلَ نَوَاكَ بُلْبُلَ مَعْشَرٍ فِيهِمْ قَرِيضي سارَ وَهْوَ غِناءُ

وهنا يحيل المتلقي خارج النص عبر الضمير المتصل (تاء المتكلم) في (كنت)، وهي إحالة مقامية، حيث يحيل الشاعر الضمير إلى نفسه، ولا يكتفي بذلك بل يردفها بإحالة مقامية أخرى في قوله (نواك) بواسطة الضمير (كاف الخطاب) العائد على الفقيد، ويعود فيحيل إحالة نصية قبلية في قوله (فيهم) إذ الضمير (هاء الغيبة) العائد على (معشر)، وهي إحالة ذات مدى قريب تربط عجز البيت بصدره، ثم يحيل إلى نفسه في الإحالة الرابعة بقوله (قريضي) عبر الضمير (ياء المتكلم)، وقد أسهمت الإحالات المقامية في تكثيف التواصل بين النص ومحيطه، وبما أن الإحالة المقامية إحالة إلى غير مذكور في النص، فيمكن إرجاعها إلى أمور غير مستنبطة من السياق أو الموقف، لا من عبارات يمكن أن تشاركها الدلالة في النص نفسه، وعلى المتلقي أن يبحث عن المرجع من خلال السياق أو المقام(٦٠). وفي الإحالة الخامسة يحيل الضمير المنفصل (هو) إحالة نصية قبلية، إلى المرجع الإحالي (قريضي)، وهي إحالة ذات مدى قريب كما هو ملاحظ.

وفي البيت الآتي يركز الشاعر على الإحالة المقامية التي تربط النص بعالمه:

فَالْبُعْدُ مِنْكَ أَعادَنِي بِنِياحَتي وَأَنا حَمامَةُ أَيْكَةٍ وَرْقاءُ

ثمة أربع إحالات مقامية في هذا البيت، الأولى في قوله (منك) حيث الضمير (كاف الخطاب) العائد على الشيخ الفقيد، والإحالة الثانية والثالثة تظهر في قوله (أعادني، بنياحتي)، فالضمير (ياء المتكلم) عنصر إحالي عائد إلى الشاعر، كما تبدو الإحالة الرابعة في قوله (أنا) فالضمير المنفصل (أنا) عنصر إحالي يعود إلى المحال إليه (الشاعر)، ولا شك أن هذه الإحالات المقامية قد أوجدت ذلك التواصل المنشود بين القارئ وعالم النص الخارجي حيث تنقله عبر تلك الوسائل الاتساقية من جو النص الداخلي إلى ما يحيط به من العالم الخارجي، فهو ما بين غوص بالنص وبين خروج منه إلى فضائه، وفي ذلك ما فيه من الترابط القوي والتعاضد المتين.

ويواصل الشاعر الاستعانة بالضمائر لتشكل حجر الزاوية في الإحالة المقامية:

لَوْ كانَ شَعْبي بِالتَّناسُخِ مُؤْمِنًا يا (صَخْرُ) أَيْقَنَ أَنَّني (الْخَنْساءُ)

نلاحظ أن الشاعر قد أورد الضمير المتصل (ياء المتكلم) في قوله (شعبي) محيلًا إلى نفسه، وهي إحالة مقامية، ونلاحظه يحيل إلى نفسه مرة أخرى في قوله (أنني)، حيث أحال الضمير المتصل (ياء المتكلم) إلى نفسه، وهي إحالة مقامية أيضًا. وفي ذلك استمرار للتواصل بين النص وعالم الخارجي.

وما يفتأ الشاعر ذاكرًا خليله على مدار القصيدة:

ما عَنْ أَبي خَلَفٍ لِنَفْسِيَ سَلْوَةٌ ما لَمْ يُتَحْ لي مِنْ عُلاهُ لِقاءُ

وفي البيت إحالتان، الأولى في قوله (لنفسي) وهي إحالة مقامية، فقد أحال الضمير المتصل (ياء المتكلم) إلى المحال إليه وهو الشاعر نفسه، والثانية في قوله (علاه) وهي إحالة نصية قبلية ذات مدى قريب، حيث أحال الضمير

(هاء الغيبة) إلى الفقيد أبي خلف، وهي كنية الفقيد الشيخ الدحيان.

ويقول في البيت الآتي:

ما زِلْتُ أَخْشَى مِنْ صُروفِ مَنِيَّتي أيَّامَ أَدْنو مِنْكَ حِينَ أَشاءُ

وتتواصل الإحالات المقامية في هذا البيت لتشكل نسيجًا قويًّا، فيمد الشاعر العديد من الروابط بينه وبين النص، حيث يحيل الضمير (تاء المتكلم) إليه، وهي إحالة مقامية، وبعدها يأتي بالضمير المستتر (أنا) في قوله (أخشى)، ليحيل إلى نفسه إحالة مقامية أيضًا، والإحالة الثالثة في (منيتي) وهي إحالة مقامية، حيث يعود الضمير (ياء المتكلم) إلى الشاعر، وفي الإحالة المقامية الرابعة يحيل الشاعر العنصر الإحالي الضمير المستتر (أنا) إلى نفسه، أما الإحالة المقامية الخامسة فإنه يحيل الضمير المتصل (كاف الخطاب) في قوله (منك) إلى الشيخ الدحيان، ثم يعود في الإحالة المقامية السادسة ليحيل العنصر الإحالي وهو الضمير المستتر (أنا) في قوله (أشاء) إلى نفسه كذلك.

ومن خلال انتقال مستقبل النص من الداخل إلى الخارج عبر الإحالات النصية والمقامية يتضح الدور الذي تقدمه الإحالة المقامية في ترابط النص واتساقه، بحيث يمكن الانطلاق "من مفهوم الإحالة المقامية لوضع أساس العلاقة بين النص والخارج أو الموقف بعناصره المختلفة اعتمادًا على أن وظيفة اللغة هي التعبير عن المواقف المختلفة بإمكاناتها القادرة على ذلك، على الوجه الذي جعلنا في علاقة النص بالموقف علاقة بناء وتفسير... وبعبارة أخرى يمكن القول إن النص بكامله عنصر إحالي إلى الخارج أو الموقف على الرغم من تسليمنا بكافة العمليات الذهنية في الإنتاج والتحليل التي يخضع لها النص"(٦١).

ويصف الشاعر حاله قائلًا:

وَالْيَوْمَ قَدْ أَصْبَحْتُ أَسْتَشْفي الرَّدى وَالْمَوْتُ في بَعْضِ الظُّروفِ شَفاءُ

يسهم حديث الشاعر عن نفسه في الربط بين النص والسياق الخارجي له، فإيراد الضمير المتصل (تاء الفاعل)، والضمير المستتر (أنا) يؤدي إلى تعزيز

التواصل بين ذينك العالمين، وهذا الأمر قد تحقق عبر الإحالة المقامية التي يمثلها العنصر الإحالي (تاء الفاعل)، وكذلك العنصر الإحالي (أنا) اللذان يحيلان إلى العنصر الإشاري (نفس الشاعر).

ويبين أثر فقد خليله على نفسه مرحبًا بالدواء إن كان فيه لحاق بذلك الخليل، فينسج على منوال قول الأول: وداوني بالتي كانت هي الداء:

إِنْ كانَ داءُ الْخِلِّ نَهْجَ لَحَاقِهِ بِالْخِلِّ فَالدَّاءُ الْمُمِيتُ دَوَاءُ

يستمر الشاعر في تحقيق عملية التواصل وتوثيق روابط التماسك النصي، وذلك من خلال الاستعانة بالإحالة النصية التي نلاحظها في قوله (لحاقه) حيث أتى بالضمير الغائب (الهاء) العائد على الخل.

ويقول في البيت الذي يليه:

شَقِيَتْ بِكَ الْغَبْرَاءُ يَوْمَ هَجَرْتَهَا وَلَطَالَما سَعِدَتْ بِكَ الْغَبْرَاءُ

هنا يورد الشاعر العديد من الإحالات، حيث ينوع بين الإحالة النصية والإحالة المقامية، ففي قوله (بك) يحيل الضمير المخاطب (الكاف) مرتين في صدر البيت وفي عجزه إحالة مقامية إلى الفضاء الخارجي للنص، فيربط بين النص والفقيد، ولا ريب أن ذلك الربط يبعث على المزيد من القوة والتماسك، ثم يستعين بالإحالة النصية في قوله (هجرتها) فيحيل الضمير الغائب (الهاء) العائد على الغبراء، وهي إحالة نصية ذات مدى نصي قريب.

ويصف حال الأرض التي عاش فيها ذلك الفقيد العظيم، والليلة ذات السواد الحالك التي أعقبت رحيله، فيقول:

جَنَّتْ عَلَيها بَعدَ بُعْدِكَ لَيْلَةٌ مُرْبَدَّةٌ أَرْجَاؤُها لَيْلاءُ

هنا إحالة مقامية وإحالتان نصيتان، فالمقامية في قوله (بعدك) إذ يحيل ضمير الخطاب (الكاف) إلى الفقيد، أما الإحالتان النصيتان فالأولى في قوله (عليها) حيث يحيل ضمير الغائب (الهاء) على كلمة (الغبراء) الواردة في البيت السابق، وهي كما نلاحظ إحالة نصية ذات مدى إحالي قريب، والإحالة النصية الثانية في قوله (أرجاؤها) فقد أحال ضمير الغائب (الهاء) إلى كلمة (ليلة)

الواردة في صدر البيت، وهي إحالة نصية ذات مدى إحالى قريب، ونلاحظ أن تلك الإحالات تنقل القارئ من عالم النص الداخلي إلى عالمه الخارجي، ثم تعيده إلى ثنايا النص، وذلك كله مما يسهم في تحقيق التعاضد المطلوب.

وما يزال الشاعر يبين حال الديار بعد فقد ذلك العلم الجليل:

ضَلَّتْ بِحِنْدِسِها سَبيلَ عَزائِهَا إِنْ كانَ بَعْدَكَ لِلْعَزَاءِ بَقاءُ(٦٢)

في البيت أربع إحالات، تتعاور بين النصية والمقامية، فالنصية في قوله (ضلت) حيث أحال ضمير الغائب المستتر (هي) إلى كلمة (ليلة) في البيت السابق، وهي إحالة نصية، والمدى الإحالي فيها قريب، والإحالة الثانية في قوله (بحندسها)، فالضمير الغائب (الهاء) محيل إلى كلمة (ليلة)، وهي إحالة نصية كذلك، ومداها الإحالي قريب، وجاءت الإحالة النصية الثالثة في قوله (عزائها) إذ أحال الضمير الغائب (الهاء) إلى كلمة (ليلة) أيضًا، والمدى الإحالي قريب كذلك، والملاحظ اشتراك الإحالات السابقة في العنصر المحال إليه، وكأن الحبال التي تشد عرى الترابط بين النص تنطلق من تلك الكلمات لتربط وثاقها بتلك الكلمة في البيت السابق، وفي ذلك ما فيه من الإيحاء بالقوة والتماسك لذهن المتلقي، وبعد ذلك تأتي الإحالة المقامية التي تبدو في قوله (بعدك) إذ يحيل ضمير الخطاب (الكاف) إلى الفقيد.

ثم يصف حاله عندما طرق النعي أذنه:

لَمَّا نَعَوْكَ إِلَيَّ أَحْيَا قَوْلُهُمْ فِيَّ الشُّجُونَ فَماتَتِ الْأَعْضاءُ

لقد استعان الشاعر بالعديد من الإحالات في هذا البيت، فبدأ بالإحالة المقامية عبر الضمير (كاف الخطاب) في قوله (نعوك) فأحال إلى الفقيد، وأحال الشاعر إلى نفسه إحالتين مقاميتين مستخدمًا الضمير ياء المتكلم في قوله (إليّ) و(فيّ)، وفي تلك الإحالات نقل الشاعر المتلقي من النص إلى فضائه الخارجي؛ محققًا التآزر المنشود بين النص وعالمه.

وهناك إحالة نصية واحدة في قوله (قولهم) حيث أحال ضمير الغائب (الهاء) إلى القوم ويدل عليهم (واو الجماعة) في كلمة (نعوك)، وهي إحالة

ذات مدى قريب.

ويستمر في وصف معاناته قائلًا:

وَإِذا بِرُحْبِ الْأَرْضِ دائِرَةٌ عَلى جَسَدي تَضُمُّ إِطارَها الآساءُ

في هذا البيت إحالتان، واحدة مقامية والأخرى نصية، فالمقامية ففي قوله (جسدي)، حيث أحال الضمير (ياء المتكلم) إلى نفسه، وفي ذلك نقل لذهن المتلقي من داخل النص إلى خارجه، ولا يخفى ما ذلك من أثر قوي في تماسك النص وترابطه، والنصية في قوله (إطارها)، فقد أحال الضمير (هاء الغيبة) إلى الأرض الواردة في صدر البيت.

ويقول في البيت الذي يليه:

فَسَجَدْتُ فَوْقَ التُّرْبِ لا لِتَعَبُّدٍ لكِنْ لِأَمْرٍ شاءَهُ الْإِغْماءُ

وهنا كذلك إحالتان، الأولى مقامية وردت في قوله (فسجدت) إذ أحال الضمير (تاء المتكلم) إلى نفسه، والإحالة الثانية نصية جاءت في قوله (شاءه)، فقد أحال الضمير (هاء الغيبة) إلى الكلمة الواردة قبلها (لأمر). وكلتا الإحالتين أدتا الدور المناط بهما، فقط أسهمتا في إضفاء المزيد من الترابط عبر التعاون بين الكلمتين داخل النص، ومد خيوط التآزر بين البيئة الداخلية للنص من جهة والفضاء الخارجي للنص من جهة أخرى.

ويستمر الشاعر مبينًا هول الصدمة وأثرها عليه، فيقول:

فَلَبَثْتُ في الْإِغْماءِ بِضْعَ دَقائِقٍ فِيهِنَّ مِنْ حِسّي اسْتَتَبَّ جَفاءُ

نجد في هذا البيت والأبيات السابقة تواصل شديد بين النص ومنشئه، وذلك واضح جلي في حديث الشاعر عن نفسه من خلال استعانته بالضمائر الدالة على المتكلم، وهنا يستعين مرة أخرى بالضمير (تاء المتكلم) في قوله (فلبثت)؛ كي يربط بالإحالة المقامية بين النص ومحيطه الخارجي. وهناك إحالة مقامية أخرى وهي في قوله (حسي) إذ يحيل (ياء المتكلم) إلى نفسه كذلك. أما الإحالة النصية ففي قوله (فيهن) حيث الضمير (هاء الغيبة) العائد على (دقائق) الواردة في صدر البيت نفسه.

وما فتئ الشاعر متأثرًا برحيل خليله المقرب، فيصف حالته وقت الإفاقة من صدمته العنيفة:

ثُمَّ انْتَبَهْتُ بِحالَةٍ مَرْهوبَةٍ مِنْها غَدَتْ تَرْثي لِيَ الْأَعْداءُ

وفي هذا البيت ثلاث إحالات أيضًا، الأولى إحالة مقامية تظهر في قوله (انتبهت) حيث أحال الشاعر الضمير (تاء المتكلم) إلى نفسه، والإحالة الثانية في قوله (لي) فقد أحال الضمير (ياء المتكلم) إلى نفسه كذلك، بينما جاءت الإحالة الثالثة نصية وذلك في قوله (منها) حيث أحال الضمير (هاء الغيبة) إلى كلمة (حالة) الواردة في صدر البيت، وهي إحالة ذات مدى قريب.

ومن فرط حبه لصاحبه المقرب يتمنى ألا يواجه الحقيقة المرة المتمثلة في رحيل صاحبه، فيقول:

مُتَمَنِّيًا أَنْ لَمْ أُفِقْ مِنْ صَعْقَةٍ مَرَّتْ وَزَعْزَعُها عَلَيَّ رُخاءُ

هنا أربع إحالات الأولى إحالة مقامية في قوله (أفق) إذ نجد الشاعر يحيل إلى نفسه والإحالة الثانية نصية وجاءت عبر الضمير المستتر (هي) العائد إلى العنصر الإشاري (صعقة) الذي يفيد المتلقي في معرفة النص وفهمه كي يصل إلى المحال إليه، وهي إحالة ذات مدى قريب. أما الإحالة الثالثة ففي قوله (وزعزعها) حيث أحال الضمير (هاء الغيبة) إلى العنصر الإشاري (صعقة) الذي يتكرر للمرة الثانية، بينما جاءت الإحالة الرابعة مقامية، ويحيل فيها الشاعر إلى نفسه بقوله (علي)، وهنا ينقل الشاعر المتلقي إلى خارج النص.

وبعد إفاقته من صعقته يواجه الشاعر ذلك الواقع القاسي، فيصدق خبر فقدان خليله:

نَبَأٌ أَماتَ الصَّبْرَ إِذْ أَحْيا الْأَسَى فَاعْجَبْ لِمَوْتٍ طَيَّهُ إِحْياءُ

تتواصل الإحالات النصية والمقامية لترسم شبكة من العلاقات ذات الوشائج القوية والروابط المتماسكة بين النص بأجزائه المختلفة من جهة، وبين النص ومحيطه من جهة أخرى، وذلك من خلال استعانة الشاعر بعدة إحالات

في البيت، فنلاحظه قد أحال ضمير الغائب المستتر (هو) في قوله (أمات الصبر)، وأيضًا في قوله (أحيا الأسى) إلى العنصر الإشاري (نبأ)، وهنا يشترك العنصران الإحاليان في عنصر إشاري واحد، ولا يخفى على المتلقي ما لذلك من أثر بالغ في توفير حالة من التعاون والتآزر تسهم في إيجاد البيئة المناسبة للترابط النصي. وهناك إحالة نصية ثالثة تتضح في قوله (طيه) حيث يحيل الشاعر الضمير (هاء الغيبة) إلى العنصر الإشاري (موت).

كما جاءت الإحالة المقامية لتحلق بالمتلقي إلى خارج النص، إذ ربط الشاعر بين النص والمتلقي في قوله (فاعجب)، حيث أحال ضمير المخاطب (أنت) إلى المقصود وهو المتلقي، ولا شك أن ذلك فيه تحفيز لذهن المتلقي وبيان لأهميته لدى الشاعر.

ويشبه الشاعر ذلك النبأ الذي رافق هطول الأمطار الغزيرة على الديار بدمع الغمام:

فَكَأَنَّهُ دَمْعُ الْغَمائِمِ إِذْ أَتَتْ وَلَها عَلَيْكَ تَلَهُّفٌ وَبُكاءُ

ويحيل إلى خليله بقوله (عليك)، فضمير الخطاب (الكاف) يحيل إلى عنصر إشاري خارج النص وهو الفقيد الدحيان، وتلك إحالة غاية في القوة أسهمت في الربط بين النص والفقيد الذي كان سببًا في إنشاء النص. ومن جانب آخر فقد اشتمل البيت على ثلاث إحالات نصية، الأولى في قوله (فكأنه) حيث أحال ضمير الغيبة (الهاء) إلى العنصر الإشاري (نبأ) في البيت السابق، والثانية في قوله (أتت) حيث أحال الضمير المستتر (هي) إلى العنصر الإشاري السابق (دمع الغمائم) وهي إحالة ذات مدى قريب.

أما الإحالة الثالثة فقد جاءت في قوله (ولها) حيث أحال الضمير الغائب (الهاء) إلى العنصر الإشاري نفسه (دمع الغمائم)، والملاحظ اشتراك الإحالتين الأخيرتين بعنصر إشاري واحد، وفي ذلك مزيد من الترابط.

ويسير الشاعر على الهدي نفسه مبينًا آثار المطر الغزير راسمًا صورة فنية بالغة الدقة لتأثير رحيل صاحبه على المجتمع والناس:

شَقَّ الثَّرَى عَنْ كُلِّ رَوْضٍ مَيِّتٍ مِنْهُ بِجَوْفِ التُّرْبِ طَالَ ثَوَاءُ

وهنا إحالتان نصيتان، الأولى تظهر في قوله (شق الثرى)، فالعنصر الإحالي وهو الضمير المستتر(هو) عائد على العنصر الإشاري (دمع الغمائم) وهي إحالة ذات مدى قريب، وفيما يخص الإحالة الثانية فقد أتت في قوله (منه) إذ أحال الضمير (هاء الغيبة) إلى العنصر الإشاري (روض)، وهي إحالة ذات مدى قريب.

ويصف الشاعر أثر تلك الأمطار على المباني، فيقول:

وثَنى الْمَبانِي وَهْيَ صَرْعَى لَمْ تَكَدْ مِنْ جُلِّها تَتَماسَكُ الْأَجْزاءُ

في البيت عدة إحالات نصية، الأولى في قوله (وثنى المباني) فقد أحال ضمير الغائب المستتر (هو) إلى العنصر الإشاري (دمع الغمام) وهي إحالة نصية ذات مدى قريب، والثانية في قوله (وهي صرعى) حيث أحال الضمير المنفصل (هي) إلى العنصر الإشاري (المباني) وكما نلاحظ أنها إحالة ذات مدى قريب، أما الإحالة الثالثة فقد جاءت في قوله (جلها) حيث أحال العنصر الإحالي (هاء الغيبة) إلى العنصر الإشاري (المباني)، وهو عنصر اشترك في الإحالة إليه إحالتان.

ويبين حالة الوهن التي اعترت البيوت المشيدة، فيقول:

حَتَّى كَأَنَّ قُوى مُشيدِ بِنَائِنا سَأَمٌ عَرَاها مِنْهُ أَوْ بَغْضاءُ

هنا إحالة مقامية وإحالتان نصيتان، فالمقامية في قوله (بنائنا) حيث أحال ضمير المتكلمين (نا) إلى خارج النص، أما الإحالتان النصيتان فالأولى في قوله (عراها) حيث يعود ضمير الغيبة (الهاء) إلى العنصر الإشاري (بنائنا)، والثانية (منه) التي يحيل فيها ضمير الغيبة (الهاء) إلى العنصر الإشاري (دمع الغمام) وهي ذات مدى إحالي قريب.

ثم ينتقل الشاعر إلى تبيان صفات الحياة الأخروية التي بات الراحل الشيخ الدحيان من أهلها، فيقول:

فهُناكَ لا حَسَدٌ ولا حِقْدٌ ولا مَكْرٌ ولا غَدْرٌ ولا شَحْناءُ

لقد ربطت هذه الإحالة النص بالمقام الخارجي، إنها تسهم في خلق النص باعتبارها تربط اللغة بسياق المقام [٦٣]، ذلك المقام الخارجي الذي يمثل الحياة الأخروية بكل ما تتميز به من صفات مختلفة عن صفات الدنيا، وانظر إلى شدة ذلك الربط الذي أسهم به اسم الإشارة الدال على المكان البعيد (هناك)[٦٤]، هذه الأداة التي أسهمت في نقل ذهن المتلقي بعيدًا، وجعلته يعيش في عالم من التصورات لنوع الحياة الأخروية الخالية من كل رذيلة، ومن كل صفة مذمومة، ومن كل خلق سيئ.

ويقول في البيت التالي له:

وهُناكَ لا كَذِبٌ ولا غِشٌّ ولا ... زُورٌ ولا كِبْرٌ ولا خُيَلاءُ

وفي هذا البيت أيضًا إحالة مقامية تنقل المتلقي إلى العالم الأخروي، وتسهم في الربط بين النص وبين عالم الآخرة، وقد استخدم الشاعر العنصر المحيل وهو اسم الإشارة الدال على المكان البعيد؛ ليدلل على بعد المسافة بين الحياة الدنيا وبين الحياة الأخروية التي تمثل العنصر الإشاري، ولكن من جانب آخر فإن ذلك العنصر الإشاري وإن كان بعيدًا جدًا فإن قوة العنصر المحيل (هناك) وفرت الترابط الضروري وحققت التماسك المنشود.

ويعيد الشاعر التذكير بصفات الآخرة، فيقول:

وهُناكَ لا شُحٌّ ولا ذو نِعْمَةٍ ... عَنْها تُذادُ بِجُوعِها البُؤَساءُ
وَهُناكَ لا تَلْقَى وِدادًا صَحْبَهُ ... يَتــلَوَّنُونَ فَكُلُّهُمْ حِرْبــــاءُ
وَهُناكَ لا كَيْدٌ ولا ذو حِيلَةٍ ... بِشِباكِها بُلْهُ الوَرَى أُسَــرَاءُ
وهُناكَ لا مَلَقٌ ولا مَذَقٌ ولا ... أَشَرٌ ولا بَطَــــرٌ ولا فَحْشاءُ

يكرر الشاعر اسم الإشارة (هناك) وبذلك يختزل الكلام، ويقتصد الجهد، وعندما يصل هذا العنصر المحيل إلى ذهن المتلقي ينقله عبر مسيرة طويلة إلى الحياة الأخروية التي تمثل العنصر الإشاري، ولا شك أن الإحالة إلى عنصر إشاري واحد في الأبيات السابقة يسهم في إرساء مزيد من الترابط والتآزر بين النص والمقام الخارجي المتمثل في الحياة الأخروية. كذلك فإن

الإضاءات التي تلمع في ذهن المتلقي من خلال انتقاله السريع من الحياة الدنيا التي يمثلها النص إلى الحياة الآخرة التي تمثل العنصر الإشاري عبر العنصر المحيل (هناك) تحقق ذلك الترابط الكبير المراد، وكأن المتلقي في غدوه ورواحه من بيئة النص الداخلية إلى المقام الخارجي ينسج الخيوط المترابطة القوية اللازمة لنسيج النص.

وفي الأبيات السابقة إحالات كقول الشاعر (عنها) وهي إحالة نصية قبلية ذات مدى قريب، حيث أحال الشاعر على العنصر الإشاري (نعمة)، وأيضًا إحالة أخرى في البيت نفسه (بجوعها) إذ نجده يحيل العنصر المحيل (هاء الغيبة) إلى العنصر الإشاري (البؤساء) وهي إحالة بعدية ذات مدى قريب. وفي البيت التالي له هناك إحالة مقامية في قوله (تلقى) حيث أحال الضمير المستتر (أنت) إلى العنصر الإشاري (المتلقي)، وكذلك هناك إحالة أخرى في قوله (صحبه) حيث العنصر المحيل (هاء الغيبة) والعنصر الإشاري (ودادًا). والإحالة النصية الأخرى في قوله (يتلونون) فالعنصر المحيل (واو الجماعة) وهو عائد على العنصر الإشاري (صحبه)، والإحالة النصية الثالثة في قوله (فكلهم) حيث أحال العنصر المحيل (هاء الغيبة) إلى العنصر الإشاري (صحبه) وهي إحالة قبلية ذات مدى قريب.

كما أن هناك إحالة نصية في قوله (بشباكها) إذ أحال العنصر المحيل (هاء الغيبة) إلى العنصر الإشاري (حيلة) وهي إحالة قبلية ذات مدى قريب.

تِلْكَ الَّتي قَدْ كُنْتَ تَمْقَتُها ومِن مرْأَى ذَويها في الأَنامِ تُسَاءُ

الإشارة بـ (تلك) إلى هذه الصفات المرذولة والأخلاق السيئة التي تضمنتها الأبيات المتقدمة. ومن البيّن أن هذه الصفات تتجاوز حدود البيت الواحد إلى عدة أبيات متعددة، وقد عاد عليها اسم الإشارة كلها فحقق بذلك اختصارًا وترابطًا، والإحالة هنا إحالة نصية على سابق، كما أحال الشاعر الاسم الموصول (التي) إلى العنصر الإشاري (الأخلاق السيئة) المذكورة في الأبيات السابقة، وهي إحالة نصية على سابق، والمدى الإحالي فيها قريب.

ووردت في البيت إحالتان مقاميتان في قوله (كنت) و(تساء)، حيث أحال العنصر الإحالي (تاء المخاطب) وكذلك ضمير المخاطب المستتر (أنت) إلى العنصر الإشاري (الفقيد). وهناك إحالتان نصيتان أخريان تظهران في قوله (تمقتها) و(ذويها) حيث أحال العنصر الإحالي (هاء الغيبة) إلى الصفات السيئة، وهما إحالتان نصيتان، والمدى الإحالي فيهما قريب.

ثم ينتقل الشاعر في الأبيات الآتية إلى تبيان ما يتمتع به الفقيد بعدما أناخت راحلته في جوار رب كريم.

إن تلك الصفات التي عاش الشيخ الدحيان طيلة عمره محاربًا لها ومبغضًا لها- أصبحت في طي الماضي، فها هو الآن يعيش في مأمن منها وفي منأى عنها، لقد أصبح ما بينه وبين تلك الصفات بعيدًا، فالله – سبحانه – باعد بينه وبين ما يبغض:

أَصْبَحْتَ تَأْمَنُ أَنْ تَرَاها مَرَّةً أُخْرَى فَمِنْهُنَّ الْخُلودُ خَلاءُ

يخاطب الشاعر خليله ويحيل إليه الضمير (تاء المتكلم) في قوله (أصبحت) وهي إحالة مقامية، وكذلك يحيل إحالة مقامية أخرى في قوله (تأمن) عبر ضمير الخطاب المستتر (أنت)، وهناك إحالة نصية في قوله (تراها) فقد أحال الضمير (هاء الغائب) إلى مجموعة الصفات المذمومة، وهي إحالة على سابق ذات مدى قريب. وهناك أيضًا إحالة نصية في قوله (منهن) إذ يحيل ضمير الغائب إلى الصفات البغيضة وهي إحالة على سابق ذات مدى قريب.

وفي البيت الآتي يتحقق الترابط المراد عبر اسم الإشارة الدال على المكان البعيد:

ما ثَمَّ مِنْ كَدَرٍ ولا عَكَرٍ ولا عَيْشٍ تَمُرُّ بِصَفْوِهِ الْأَقْذاءُ

لقد استخدم الشاعر اسم الإشارة (ثم) لينقل المتلقي من العالم السفلي إلى العالم العلوي، وهي إحالة خارجية أسهمت في شد الوثاق بين النص وبين عالمه الخارجي البعيد. وهناك إحالة أخرى في البيت وهي إحالة نصية في

قوله (بصفوه) فقد أحال الضمير (هاء الغيبة) إلى عنصر إشاري سابق وهو (عيش)، وهنا كان المدى الإحالي قريبًا.

وفي ختام حديثه عن حياه خليله في عالمه الجديد، يدعو له بطيب النفس والمقام، فيقول:

فَاهْدَأْ وَطِبْ نَفْسًا فَقَدْ نِلْتَ الَّتي فيها يَحُفُّ السَّاكِنينَ هَناءُ

وفي هذا البيت عدة إحالات مقامية، فالأولى في قوله (فاهدأ) والثانية في قوله (طب) وفي كليهما أحال الشاعر الضمير المستتر (أنت) إلى العنصر الإشاري (الفقيد)، والثالثة في قوله (نلت)، حيث يحيل العنصر الإحالي (تاء الخاطب) إلى العنصر الإشاري (الفقيد) أيضًا، ولا شك أن تعدد العناصر الإحالية واشتراكها في الوقت نفسه في عنصر إشاري واحد يعزز من قوة التماسك والترابط بين أجزاء النص، ونلاحظ أن هناك إحالة مقامية باستخدام الاسم الموصول (التي) وهو عنصر إحالي يعود إلى العنصر الإشاري (الجنة) الملاحظ من السياق، وفي هذه الإحالة ينقلنا الشاعر إلى عالم النقاء والصفاء باستخدام الاسم الموصول (التي)، ذلك الذي بلمحة سريعة بل خاطفة انتشل المتلقي من قاع الدنيا إلى ذروة سنام الآخرة.

إن حديث الشاعر عن خليله الفقيد قد أسهم في الربط بين النص والسياق الخارجي له، فإيراد الضمير المستتر (أنت) يؤدي إلى تعزيز التواصل بين ذينك العالمين.

الخاتمة

وبعد أن قضينا ذلك الوقت مع قصيدة صقر الشبيب (دموع على الدحيان) ورأينا ما أضافته الإحالة بنوعيها إلى النص من ترابط وانسجام- يمكن إجمال ما قلناه في السطور الآتية:

١- أن تلك الإحالات قد أدت دورها في المشهد الشعري، وأوصلت المتلقي إلى فهم واضح وعميق لما يقرأه أو يسمعه، فالإحالة بأنواعها المختلفة، ووسائلها المتعددة أسهمت في الربط بين أجزاء الكلام، وجعلته متسقاً، كما حققت الربط بين النص والعالم الخارجي المحيط به بواسطة الإحالات المقامية.

٢- لقد وفق الشاعر في مراعاته للحال، فسياق الحال يساعد المتلقي على تحليل النص وفهمه، ويعين منتج النص كذلك على انتقاء الأدوات والعناصر التي ينسج من خلالها نصه.

٣- إن مستقبِل النص يزداد تعمقًا فيه عندما يفهم مدلول العنصر الإحالي، والمقصود فيه، وإلى من يعود، فهو يتجول في فضاء النص تارةً، وفي السياق المقامي تارةً أخرى؛ ليجد ضالته المنشودة التي تعينه على الإدراك الحقيقي لمقاصد الشاعر.

٤- إن التجوال في عالم النص الداخلي والخارجي يحقق لعملية التواصل اللغوي الإنساني المزيد من الاتساق الذي يعطي النص حيوية وفعالية.

٥- أهمية الإحالة في كونها أداة رئيسة من أدوات الاتساق النصي.

٦- الدور الكبير الذي تقوم به الضمائر وأسماء الإشارة، وكذلك الأسماء الموصولة في المساعدة على تحقيق التواصل الحقيقي الناجح بين مرسل النص ومستقبله.

المراجع

١- د/إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٥م.

٢- د/إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، عمَّان، ط٢، ٢٠٠٩م.

٣- ابن منظور الأفريقي: لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٩م.

٤- د/أحمد عفيفي: دور الإحالة في الاتساق النصي دراسة في نحو النص، دار الهاني للطباعة والنشر، القاهرة، ط١ ، ٢٠١٠م.

٥- د/أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

٦- أحمد محمد العلي: شعر صقر الشبيب: دراسة وتحليل، دار ذات السلاسل، الكويت، ط١، ١٩٨٦م.

٧- براون وج.يول: تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع، الرياض، ١٩٩٧م.

٨- الجرجاني: التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٢م.

٩- د/جمعان عبد الكريم: إشكالات النص دراسة لسانية نصية، النادي الأدبي بالرياض والمركز الثقافي العربي بالدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٩م.

١٠- د/حاتم محمد محمد مصطفى: أسس التحليل النصي من خلال كتاب معاني القرآن وإعرابه للزجاج، رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم، جامعة المنيا، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.

١١- خالد سعود الزيد: أدباء الكويت في قرنين، المطبعة العصرية، الكويت، ط٢، ١٩٦٧م.

١٢- خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٧،

٢٠٠٧م.
١٣- ردة الله بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، جامعة أم القرى، سلسلة الرسائل الجامعية الموصى بطباعتها، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.
١٤- دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة د/تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
١٥- د/زاهر الداودي: الترابط النصي بين الشعر والنثر، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان، ط١، ٢٠١٠م.
١٦- الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
١٧- د/سعد مصلوح: العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، بحث منشور في كتاب تذكاري بعنوان "الأستاذ عبد السلام هارون معلمًا، ومؤلفًا، ومحققًا"، إعداد: د/وديعة طه النجم، ود/عبده بدوي، جامعة الكويت، كلية الآداب، ١٩٩٠م.
١٨- د/سعيد بحيري: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.
١٩- د/سعيد بحيري: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢، ٢٠١٠م.
٢٠- سيبويه: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.
٢١- سيف مرزوق الشملان: من تاريخ الكويت دار ذات السلاسل، الكويت، ط٢، ١٩٨٦م.
٢٢- الشافعي: الرسالة، تحقيق أحمد محمد شاكر، طبعة مصورة، د.ت.
٢٣- د/صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة في السور المكية، دار قباء، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.
٢٤ - صقر الشبيب: الديوان، جمعه وقدم له: أحمد البشر الرومي وراجعه:

عبد الستار فراج، دار الأمل، الكويت، ط١، ١٩٦٩م.
٢٥- طرفة بن العبد: الديوان، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠م.
٢٦- عبد العزيز الرشيد: تاريخ الكويت، دار مكتبة الحياة، بيروت،١٩٧٠م.
٢٧- د/عزة شبل: علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٩م.
٢٨- د/عيسى جواد الوادعي: التماسك النصي دراسة تطبيقية في نهج البلاغة، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمَّان، ٢٠٠٥م.
٢٩- فاضل خلف: دراسات كويتية، المطبعة العصرية، الكويت، ط٢، ١٩٨١م.
٣٠- الكفوي: الكليات، تحقيق د/عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ٢٠١٢م.
٣١-د/محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٨م.
٣٢- د/محمد حماسة عبد اللطيف: الإبداع الموازي التحليل النصي للشعر، دار غريب، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.
٣٣ - محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط٣، ٢٠١٢م.
٣٤- محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط١، ٢٠٠١م.
٣٥- محمد عبد الباسط عيد: النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٩م.

ملحق:

١- نص قصيدة (دموع على الدحيان)
للشاعر صقر الشبيب

ما بَعْدَ فَقْدِكَ لِلْكويْتِ عَزَاءُ ... أَنَّى وَأَنْتَ بِجِسْمِها الحَوْباءُ
ما مُتَّ أَنْتَ وإِنْ حَوَتْكَ حَفيرَةٌ ... لَفَظَتْكَ فيها الآلَةُ الحَدْباءُ
ما كانَ مَوْتُكَ غَيْرَ سُلَّمِ جَنَّةٍ ... فيها تَدومُ لِمِثْلِكَ النَّعْماءُ
عَجِلَتْ فَمَدَّتْهُ لِيُفْضِيَ مُسْرِعًا ... بِكَ نَحْوَها مِنْ رَبِّكَ الْآلاءُ
أَصْبَحْتَ لِلْفِرْدَوْسِ عَنَّا راحِلًا ... عَجْلانَ مُذْ مِنْها أَتاكَ نِداءُ
فَغَدا رَحيلُكَ لِلْكُوَيْتِ وَأَهْلِها ... مَوْتًا زُؤامًا ما بِهِ إِبْقاءُ
كُنْتَ القِوامَ الْمَعْنَوِيَّ لِمَوْطِنٍ ... فَدَحَتْ عَلَيْهِ بِبَيْنِكَ الْأَرْزاءُ
إِنْ فُزْتَ بِالْمَحْيا الْمُؤَبَّدِ بَعْدَهُ ... فَالْبُعْدُ مِنْكَ أَتاهُ وَهْوَ فَناءُ
وَإِقامَةُ الْعُلَماءِ مَحْيا شَعْبِهِمْ ... وَحِمَامُهُ أَنْ تَرْحَلَ الْعُلَماءُ
فَإِذا عَنِ الْأَقْوامِ مِنْ عُلَمائِهِمْ ... غَرَبَتْ بِجَنَّاتِ الخُلُودِ ذُكاءُ
فَابْسُطْ إِلى الأَقْوامِ كَفَّ مُوَدِّعٍ ... فَلَقَدْ تَنَبَّهَ فيهِمُ الإِرْداءُ
غادَرْتَ أَمْواهَ العُيونِ جَوارِيًا ... أَسَفًا عَلَيْكَ تَمُدُّهُنَّ دِماءُ
فَاعْجَبْ لِأَمْواتٍ أَسالَ دُمُوعَهُمْ ... حَيٌّ أَتاهُ مِنَ الإِلهِ دُعاءُ
وَلَقَدْ بَكَتْكَ وَقَدْ أَحَسَّتْ قَبْلَنا ... مِنْكَ الْفِراقَ الدّيمَةُ الوَطْفاءُ
قَدْ غاضَ ماءُ جُفُونِهَا حتى إِذا ... أَزِفَ التَّرَحُّلُ مِنْكَ فاضَ المَاءُ
أَحْشاؤُها ذابَتْ بِنارِ تَنَهُّدٍ ... تُدْعَى الْبُروقَ فَسالَتِ الْأَحْشاءُ
حَتَّى لَخِفْنا أَنْ يَعُمَّ بِسَيْلِها ... دُورَ الْكُوَيْتِ الْهَدْمُ وَالْإِبْلاءُ
وَغَدا يَرَى الْغَيْثَ الَّذي هُوَ رَحْمَةٌ ... كُلٌّ مِنَ السُّكَّانِ وَهْوَ بَلاءُ
وَكَذا لِفَرْطِ مَزِيدِها أَوْ نَقْصِها ... عَنْ حالِها تَتَحَوَّلُ الْأَشْياءُ
لَبِثَتْ تَنوحُ وَتَكْتُمُ السِّرَّ الَّذي ... ناحَتْ لَهُ مِنْ فَوْقِنا الْأَنْواءُ
حَتَّى رَحَلْتَ فَعَادَ سِرُّ نُواحِها ... يَوْمَ الرَّحيلِ وما عَليهِ خَفاءُ

فَتَنَى رَحيلُكَ كُلَّ مُقْلَةِ مُسْلِمٍ ... بِالدَّمْعِ وَهْيَ سَحابَةٌ غِرَّاءُ
حَتَّى انْتَنَتْ طَوْعَ الشُّجونِ عُيونُنا ... هِيَ والسَّحائِبُ في البُكاءِ سَواءُ
إِنْ كانَ وَصْفي أَمْسِ عِنْدَكَ شاعِرًا ... فَالْيَوْمَ وَصْفِي النَّائِحُ الْبَكَّاءُ
أَوْ كُنْتُ قَبْلَ نَوَاكَ بُلْبُلَ مَعْشَرٍ ... فِيهِمْ قَريضي سارَ وَهْوَ غِناءُ
فَالْبُعْدُ مِنْكَ أَعادَنِي بِنِياحَتي ... وَأَنا حَمامَةُ أَيْكَةٍ وَرْقاءُ
لَوْ كانَ شَعْبي بِالتَّناسُخِ مُؤْمِنًا ... يا (صَخْرُ) أَيْقَنَ أَنَّني (الْخَنْساءُ)
ما عَنْ أَبي خَلَفٍ لِنَفْسِيَ سَلْوَةٌ ... ما لَمْ يُتَحْ لي مِنْ عُلاهُ لِقاءُ
ما زِلْتُ أَخْشَى مِنْ صُروفِ مَنِيَّتي ... أَيَّامَ أَدْنو مِنْكَ حِينَ أَشاءُ
وَالْيَوْمَ قَدْ أَصْبَحْتُ أَسْتَشْفي الرَّدى ... وَالْمَوْتُ في بَعْضِ الظُّروفِ شَفاءُ
إِنْ كانَ داءُ الْخِلِّ نَهْجَ لَحَاقِهِ ... بِالْخِلِّ فَالدَّاءُ الْمُمِيتُ دَوَاءُ
شَقِيَتْ بِكَ الْغَبْرَاءُ يَوْمَ هَجَرْتَهَا ... وَلَطالَما سَعِدَتْ بِكَ الْغَبْرَاءُ
جَنَّتْ عَلَيها بَعدَ بُعْدِكَ لَيْلَةٌ ... مُرْبَدَّةٌ أَرْجَاؤُها لَيْلاءُ
ضَلَّتْ بِحِنْدِسِها سَبيلَ عَزائِهَا ... إِنْ كانَ بَعْدَكَ لِلْعَزَاءِ بَقاءُ
لمَّا نَعَوْكَ إِلَيَّ أَحْيَا قَوْلُهُمْ ... فِيَّ الشُّجُونَ فَماتَتِ الْأَعْضاءُ
وَإِذا بِرُحْبِ الْأَرْضِ دائِرَةٌ عَلى ... جَسَدي تَضُمُّ إِطارَها الآساءُ
فَسَجَدْتُ فَوْقَ التُّرْبِ لا لِتَعَبُّدٍ ... لكِنْ لِأَمْرٍ شاءَهُ الْإِغْماءُ
فَلَبَثْتُ في الْإِغْماءِ بِضْعَ دَقائِقٍ ... فِيهِنَّ مِنْ حِسّي اسْتَتَبَّ جَفاءُ
ثُمَّ انْتَبَهْتُ بِحالَةٍ مَرْهوبَةٍ ... مِنْها غَدَتْ تَرْثي لِيَ الْأَعْداءُ
مُتَمَنِّيًا أَنْ لَمْ أُفِقْ مِنْ صَعْقَةٍ ... مَرَّتْ وَزَعْزَعُها عَلَيَّ رُخاءُ
نَبَأٌ أَماتَ الصَّبْرَ إِذْ أَحْيا الْأَسَى ... فَاعْجَبْ لِمَوْتٍ طَيَّهُ إِحْياءُ
فَكَأَنَّهُ دَمْعُ الْغَمائِمِ إِذْ أَتَتْ ... وَلَها عَلَيْكَ تَلَهُّفٌ وَبُكاءُ
شَقَّ الثَّرَى عَنْ كُلِّ رَوْضٍ مَيِّتٍ ... مِنْهُ بِجَوْفِ التُّرْبِ طَالَ ثَوَاءُ
وثَنى الْمَبانِي وَهْيَ صَرْعَى لَمْ تَكَدْ ... مِنْ جُلِّها تَتَماسَكُ الْأَجْزاءُ
حَتَّى كَأَنَّ قُوى مُشيدِ بِنَائِنا ... سَأَمٌ عَرَاها مِنْهُ أَوْ بَغْضاءُ
فهُناكَ لا حَسَدٌ ولا حِقْدٌ ولا ... مَكْرٌ ولا غَدْرٌ ولا شَحْناءُ

وهُناكَ لا كَذِبٌ ولا غِشٌّ ولا ... زُورٌ ولا كِبْرٌ ولا خُيَلاءُ
وهُناكَ لا شُحٌّ ولا ذو نِعْمَةٍ ... عَنْها تُذادُ بِجُوعِها البُؤَساءُ
وَهُناكَ لا تَلْقَى وِدَادًا صَحْبَهُ ... يَتَـلَوَّنُونَ فَكُلُّهُمْ حِرْبَـاءُ
وَهُناكَ لا كَيْدٌ ولا ذو حِيلَةٍ ... بِشِباكِها بُلْهُ الوَرَى أُسَـرَاءُ
وهُناكَ لا مَلَقٌ ولا مَذَقٌ ولا ... أَشَرٌ ولا بَطَـرٌ ولا فَحْشاءُ
تِلْكَ الَّتي قَدْ كُنْتَ تَمْقَتُها ومِن ... مرْأَى ذَويها في الأَنامِ تُسَاءُ
أَصْبَحْتَ تَأْمَنُ أَنْ تَرَاها مَرَّةً ... أُخْرَى فَمِنْهُنَّ الْخُلودُ خَلاءُ
ما ثَمَّ مِنْ كَدَرٍ ولا عَكَرٍ ولا ... عَيْشٍ تَمُرُّ بِصَفْوِهِ الْأَقْذاءُ
فَاهْدَأْ وَطِبْ نَفْسًا فَقَدْ نِلْتَ الَّتي ... فيها يَحُفُّ السَّاكِنينَ هَناءُ

٢- مشكلة البحث:

- ما أثر الإحالة نصية كانت أم مقامية على تماسك النص؟

٣ – أهدافه:

- بيان أحد مظاهر التماسك النصي عند الشاعر.
- توضيح العلاقات بين الجمل المكونة للنص.
- الكشف عن العلاقة الوثيقة بين النظريات الحديثة والنحو العربي.
- إبراز دور الإحالة في تماسك النصوص الشعرية.

٤- أهميته:

- قلة التطرق إلى الشعر الكويتي الفصيح في الدراسات النحوية.
- قوة شعر الشبيب وجزالته وتعدد الأغراض الشعرية فيه.
- يقدم دراسة نصية لأحد أعلام الشعر الكويتي.

٥- حدوده:

يرتكز محور الدراسة على الإحالة كونها وسيلة من الوسائل الشكلية التي تؤدي إلى تماسك النص.

هوامش البحث

(١) تاريخ الكويت: عبد العزيز الرشيد، دار مكتبة الحياة، بيروت،١٩٧٠م، ص ٣٧٧. و من تاريخ الكويت، سيف مرزوق الشملان، دار ذات السلاسل، الكويت، ط٢، ١٩٨٦م، ص٨٦ .

(٢) الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٧، ٢٠٠٧م، ج٣/ص٢٠٦. وديوان صقر الشبيب، صقر شبيب، جمعه وقدم له: أحمد البشر الرومي وراجعه: عبد الستار فراج، دار الأمل، الكويت، ط١، ١٩٦٩م، ص٩. وأدباء الكويت في قرنين، خالد سعود الزيد، المطبعة العصرية، الكويت، ط٢، ١٩٦٧م، ج١/ص١٧٧. ودراسات كويتية، فاضل خلف، المطبعة العصرية، الكويت، ط٢، ١٩٨١م، ص١٠٧.

(٣) أدباء الكويت في قرنين ٢٧٣/١.

(٤) شعر صقر الشبيب: دراسة وتحليل، أحمد محمد العلي، دار ذات السلاسل، الكويت، ط١ ، ١٩٨٦م، ص٤٢.

(٥) أدباء الكويت في قرنين /١١٨ ، وشعر صقر الشبيب: دارسة وتحليل، ص٤٢.

(٦) شعر صقر الشبيب: دارسة وتحليل، ص٤٣، وأدباء الكويت في قرنين١١٨/١ .

(٧) شعر صقر الشبيب: دارسة وتحليل، ص٤٥.

(٨) الشعر الحديث في الكويت، ص١٤٤.

(٩) أدباء الكويت في قرنين١١٨/١.

(١٠) شعر صقر الشبيب، دراسة وتحليل، ص١٨.

(١١) نفسه، ص٣١.

(١٢) الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ج٢، ص٢٧٥ (نصص).

(١٣) طرفة بن العبد: ديوان طرفة بن العبد، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠م، ص٦٤. وهو من قصيدة له مطلعها مشهور على الألسنة:

إذا كنتَ في حاجةٍ مُرسلًا فأرسل حكيمًا ولا توصِهِ

(١٤) ابن منظور: لسان العرب، ج١٤، ص١٦٢ – ١٦٣(نصص).

(١٥) الشافعي: الرسالة، تحقيق أحمد محمد شاكر، طبعة مصورة، د.ت، ص٣٢.

(١٦) الجرجاني: التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢،

١٩٩٢م، ص٣٠٩.

(١٧) الكفوي: الكليات، تحقيق د/عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ٢٠١٢م، ص٧٦٥.

(١٨) د/إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٥م، ص٩٢٦(نصَّ).

(١٩) انظر: د/جمعان عبد الكريم: إشكالات النص دراسة لسانية نصية، النادي الأدبي بالرياض والمركز الثقافي العربي بالدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٩م، ص٢٤،٢٥.

(٢٠) انظر: د/صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج١، ص٢٨.

(٢١) د/محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٨م، ص١٨. ١٩.

(٢٢) الأزهر الزناد: نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط١، ١٩٩٣م، ص١٢. وانظر: مقدمة الكتاب التي كتبها د/محمد الهادي الطرابلسي، ص٦.

(٢٣) د/سعد مصلوح: العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، ص٤٠٧.

(٢٤) د/صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ج١، ص٣٣.

(٢٥) د/محمد حماسة عبد اللطيف: الإبداع الموازي، التحليل النصي للشعر، ص١٥.

(٢٦) انظر: د/سعيد بحيري: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢، ٢٠١٠م، ص١٢٥.

(٢٧) د/أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م، ص٢٢.

(٢٨) انظر: روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص١٠٣ – ١٠٥. و د/صبحي إبراهيم الفقي:علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج١، ص٣٣ – ٣٤.

(٢٩) محمد خطابي: لسانيات النص، ص١٧.

(٣٠) انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٤٠١. (حول). و الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص٩٨٩. (حول).

(٣١) د/أحمد عفيفي: دور الإحالة في الاتساق النصي دراسة في نحو النص، دار الهاني للطباعة والنشر، القاهرة، ط١ ، ٢٠١٠م، ص١٥. ١٦.

(٣٢) انظر: سيبويه: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م، ج٤. ص٦- ٧٣.

(٣٣) انظر: د/إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النص، ص٢٢٧.

(٣٤) محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب، ج١، ص١٢٥.

(٣٥) دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص١٧٢.

(٣٦) براون و يول: تحليل الخطاب، ص٣٦.

(٣٧) نفسه: الصفحة نفسها.

(٣٨) انظر: محمد خطابي: لسانيات النص، ص١٦. ١٧.

(٣٩) د/جمعان عبد الكريم: إشكالات النص، ص٣٤٧. ٣٤٨.

(٤٠) انظر: دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص٣٣٢. و محمد خطابي: لسانيات النص، ص١٧. والأزهر الزناد: نسيج النص، ص١١٨. و محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب، ج١، ص١٢٥.

(٤١) انظر: دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص٣٣٢.

(٤٢) الأزهر الزناد: نسيج النص، ص١١٩.

(٤٣) انظر: الأزهر الزناد، نسيج النص، ص١١٨ – ١١٩. ومحمد خطابي: لسانيات النص، ص١٧. ومحمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب، ج١، ص١٢٥. ود/عزة شبل: علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص١٢٣، نقلاً عن هاليداي ورقية حسن. ود/جمعان عبد الكريم: إشكالات النص، ص٣٥٠. ود/أحمد عفيفي: نحو النص، ص١١٧. ود/ حاتم محمد محمد مصطفى: أسس التحليل النصي، ص٣٩.

(٤٤) د/صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ج١، ص٣٨.

(٤٥) نفسه، ج١، ص٤٠.

(٤٦) د/ حاتم محمد محمد مصطفى: أسس التحليل النصي، ص٣٩.

(٤٧) انظر: الأزهر الزناد: نسيج النص، ص١٢٣. ١٢٤. ود/أحمد عفيفي: دور الإحالة في الاتساق النصي، ص٥٣.

(٤٨) انظر: الأزهر الزناد: نسيج النص، ص١٢٣. ١٢٤. ود/أحمد عفيفي: دور الإحالة في الاتساق النصي، ص٥٤.

(٤٩) د/جمعان عبد الكريم: إشكالات النص، ص٣٥٣.

(٥٠) انظر: الأزهر الزناد، نسيج النص، ص١٢١. ود/سعيد بحيري: دراسات لغوية

تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ص٩٦.

(٥١) انظر: د/عيسى جواد الوادعي: التماسك النصي دراسة تطبيقية في نهج البلاغة، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمَّان، ٢٠٠٥م، ص١٥٠. ود/زاهر بن مرهون الداودي: الترابط النصي بين الشعر والنثر، ص٩٧.

(٥٢) الحوباء: النفس.

(٥٣) انظر: د/ ليندة قياس: لسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمذاني أنموذجًا، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م، ص١٠١.

(٥٤) ذكاء: اسم للشمس.

(٥٥) محمد عبد الباسط عيد: النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص٢٤١.

(٥٦) د/إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، ص٢٢٨.

(٥٧) د/أحمد عفيفي، دور الإحالة في الاتساق النصي، ص٤٨.

(٥٨) د/عزة شبل: علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص١٧٧.

(٥٩) د/حاتم محمد محمد مصطفى: أسس التحليل النصي، ص١٤٧.

(٦٠) د/أحمد عفيفي: دور الإحالة في الاتساق النصي، ص٤٨.

(٦١) ردة الله بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، جامعة أم القرى، سلسلة الرسائل الجامعية الموصى بطباعتها، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م، ص٥٦٠، ٥٦١.

(٦٢) الحندس: الليل الشديد الظلمة.

(٦٣) ينظر: لسانيات النص، محمد خطابي، ص١٧.

(٦٤) ينظر: نفسه، ص١٩.